يوسف السباعي





أقوى من الزمن





مسرحية فى ستة فصول

الناشر
مؤسسة الخانجى بمصر

للمؤلف

أطياف ... ... (قصص قصيرة ١٩٤٧) الناشر مكتبة الخانجى

نائب عزرائيل . (رواية ... ... ١٩٤٧) » » »

اثنتا عشرة امرأة (قصص قصيرة ١٩٤٨) » » »

خبايا الصدور .. (» » ١٩٤٨) » » »

يا أمة ضحكت ... (» » ١٩٤٨) » » »

اثنا عشر رجلا . (» » ١٩٤٩) » » »

أرض النفاق .... (رواية ... ... ١٩٤٩) » » »

فى موكب الهوى . (قصص قصيرة ١٩٤٩) » دار الفكر العربى

من العالم المجهول . (» » ١٩٤٩) » مكتبة الخانجى

هذه النفوس ... (» » ١٩٥٠) » دار الفكر العربى

إنى راحلة ... ... (رواية ...... ١٩٥٠) » مكتبة الخانجى

مبكى العشاق . ... (قصص قصيرة ١٩٥٠) » دار الفكر العربى

بين أبو الريش وجنينة ناميش (قصص قصيرة ١٩٥٠) » مكتبة الخانجى

أغنيات . ... (قصص قصيرة ١٩٥١) » » »

أم رتيبة ... ... (مسرحية .... ١٩٥١) » » »

هذا هو الحب ... (قصص قصيرة ١٩٥١) » دار الفكر العربى

صور طبق الأصل (» » ١٩٥١) » مكتبة الخانجى

بين الأطلال . ... (رواية ...... ١٩٥٢) » » »

السقامات ... ... (» ... ... ١٩٥٢) » » »

سُمّار الليالى .. ... (قصص قصيرة ١٩٥٢) » دار الفكر العربى

الشيخ زعرب ... (قصص قصيرة ١٩٥٢) الناشر مكتبة الخانجي

نفحة من الإيمان (» » ١٩٥٢) » دار الفكر العربي

وراء الستار ... (مسرحية .... ١٩٥٢) » مكتبة الخانجي

ست نساء وستة رجال ... ... (قصص قصيرة ١٩٥٣) » » »

هذه الحياة ..... (» » ١٩٥٣) » دار الفكر العربي

البحث عن جسد (رواية ... ...١٩٥٣) » مكتبة الخانجي

جمعية قتل الزوجات (مسرحية ... ١٩٥٣) » النهضة المصرية

فديتك يا ليلى .. (رواية ...... ١٩٥٣) » مكتبة الخانجي

ليلة خمـــر ... (قصص قصيرة ١٩٥٣) » مكتبة الخانجي

همسة غابرة . ... (» » ١٩٥٣) » دار الفكر العربي

رد قلبي ... ... (رواية في جزءين ١٩٥٤) » مكتبة الخانجي

ليال ودموع ... (قصص قصيرة ١٩٥٥) » » »

طريق العودة ... (رواية ..... ١٩٥٦) » الشركة العربية

أيام تمر .. ... (مقالات .... ١٩٥٧) » » »

من حياتي ... (» ... ... ١٩٥٨) » » »

لطمات ولثمات . (مقالات ١٩٥٩) الناشر المكتب التجاري ببيروت

نادية .. .. (رواية في جزءين ١٩٦٠) الناشر مكتبة الخانجي

جفت الدموع ... (رواية في جزءين ١٩٦١) » » »

أيام مشرقة . ... (مقالات ... ١٩٦١) » » »

أيام وذكريات . (» ... ١٩٦١) » » »

أيام من عمري (» ... ١٩٦٢) » » »

ليـــل له آخر (رواية في جزءين ١٩٦٤) » » »

أقوى من الزمن (مسرحيـة ١٩٦٤) الناشر مكتبة الخانجي

الإهداء

إلى الذين جعلوا من الأمنية حقيقة . . ومن الأغنية واقعاً ملموساً .

إلى الذين قالوا : « حانبنى السد » وبنوه .

إلى أصحاب المعجزة .

إلى القائد بعزيمته وصلابته وإصراره .

والشعب بقدرته وجلده وصبره .

الذين قدموا الدليل على إرادة الإنسان وتفوقه المطلق فى هذه الأرض .

يوسف السباعى

مُقدّمة

لا جدال فى أننا نعيش فترة من الزمن مليئة بالأحداث الضخمة التى لا يمكن للكاتب أن يعيش بمعزل عنها أو يتجنب الانفعال بها .

وأحد هذه الأحداث الكبيرة التى عاصرها جيلنا والتى تملؤنا إحساساً بالثقة فى الإنسان وفى قدرته وإرادته . . سد أسوان العالى .

بعد نضـــال مرير ضد قوات الاحتلال والغزاة . . بعد حصار اقتصادى .. ومحاولات للتشكيك وإضاعة الثقة .. ارتفع السد وسط النهر .. وشق المجرى الجديد وسط الجبل .

ووقفت أرقب . . المصرى . . عندما يستعرض قدرته ، وإصراره .. وقوة جلده .. يسابق الزمن وهو يقضم الصخر .. ويشق الجبل . . ويسد النهر .

وتملكنى إحساس عجيب بالفخر والفرحة .. وعدت بابنتى وابنى لأريهما ما يحدث فى أسوان . . لأريهما قدرة المصرى . . قدرة الإنسان . . وأقف وإياهما فى قاع المجرى الجديد . . وضجيج الآلات يعلو من حولنا .

وتمنيت أن أفعل شيئاً . . أكثر من الإعجاب والفخر والفرحة .

تمنيت أن أمسك معولا وأضرب مع الضاربين فى الصخر .

وعدت دون أن أحقق الأمنية .

وبعد بضعة أشهر أمسكت بالقلم وكتبت .

وإذا كان القدر لم يمنحنى فرصة المشاركة بالمعول . . فلعل المشاركة بالقلم .. تفى ببعض الشكر والتقـــدير لأولئك الذين حققوا المعجزة .

يوسف السباعى

الفصل الأول



تين .. ونبيذ .. وعطر

المنظر الأول

(أمام معبد فرعونى على شاطى النيل .. قبيل الغروب .

(عمر المهندس بالسد ، ومصطفى مساعده . . وصبحى سائق كهل سمين يحمل صفيحة فارغة . وقد توقفت بهم العربة قرب المعبد . . وقد ساروا على أقدامهم مقتربين من المعبد) .

صبحى — سير المروحة قطع . . والعربة تغلى .

عمر — (فى سخرية وهو يتأمل المعبد من على بعد) شاطر .

صبحى — كان السير قديماً . . وطلبت تغييره منـــذ أسبوع . . وعندما ذهبت إلى المخـازن . . لم أجد أبو الفتوح وذهبت إلى . . .

مصطفى — (مقاطعاً) انتهينا . . أدر العربة للريح ودعها تبرد .

صبحى — لو وجدنا هنا مَن يملأ لنا الصفيحة . . إن مياه العربة تغلى .

عمر — املأها من النيل .

صبحى — كيف ؟

مصطفى — (مشيراً بيده إلى الشاطىء) اذهب إلى هناك ومد يدك بالصفيحة إلى المياه واملأها .

صبحى — (متردداً) قد تنزلق قدمى من فوق الطين وأغرق .

مصطفى — لا تخش الغرق أبداً . . جثتك السمينة ستطفو .

صبحى — والتماسيح . . ؟

عمر — تماسيح ؟ . أية تماسيح ؟

صبحى — لقد سمعت أنها تملأ النهر هنا . . عبد السميع قال لى .

مصطفى — (يمد يده ويحاول أخذ الصفيحة) هات . سأملؤها أنا .

صبحى — ولمَ لا تسأل شخصاً من هنا (مشيراً إلى المعبد) لعله يعطينا ماء نظيفاً نشرب ونملأ العربة .

عمر — (فى غيظ) يا أخينا . . لن نجد هنا أحداً . . هذا معبد .

صبحى — معبد . . يعنى إيه ؟

مصطفى — يعنى بيت للعبادة .

صبحى — بيت من بيوت الله ؟

عمر — أجل . . الله . . آمون . . أو أزوريس . . أو إخت . . أو سخت . . أى شيء . . الآلهة .. كانت عندهم كالرز .

صبحى — مهما كان . فلابد أن يكون له ميضة وخادم .

مصطفى — ميضة إيه . . وخادم إيه . . يا أستاذ . . هذا كان منذ آلاف السنين .

صبحى — (متقدماً يستحث الخطا تجاه المعبد) سأذهب وأرى . . بيوت الله دائماً عامرة .

(يعبر باب المعبد ثم يختفى داخله) .

مصطفى — (متأملا المعبد) عجيبة .

عمر — ما العجيبة ؟

مصطفى — هذه الضخامة والروعة .

عمر — والمتانة .. بعد كل هذه السنين الطويلة . . تبدو كأنها بناء صالح للاستعمال . . لا أطلالا عفى عليها الزمن .

مصطفى — أتذكر عندما زرناه أول مرة .

عمر — أجل . . أذكر أسطورة بنت فرعون المنقوشة على الحجر تروى قصة حبها لأمير الشمال حين أتى

لغزو أرضهم من الضفة الشرقية .

مصطفى — تصور .. كل هذا كان يمكن أن يذهب هباء . أن تغرقه المياه . . ويصبح كأن لم يكن .

عمر — (مفكراً) لو أنه لم يكن من البداية لكان أفضل .

مصطفى — ماذا تقصد ؟

عمر — أفرض .. لو أنه لم يوجد ، لوفر علينا هذه الملايين التى ستنفق من أجل نقله وصيانته .

مصطفى — ولكن أنت نفسك قلت إنه يستحق الإنقاذ . . إنه شىء له قيمة .

عمر — لمن ؟

مصطفى — لـ . . لـ . . لنا جميعاً ، شىء نفاخر به .

عمر — الآن ؟

مصطفى — أجل .

عمر — ولكن . . فى البداية . . فى أول خلقه . . هل تظنه أنشىء من أجل أن نفاخر به . . هل تظن أجدادك الذين أنشئوه .. قد كلفوا أنفسهم كل هذا الجهد .. من أجل أن يتركوا لك شيئاً تفاخر به . . أتظنك كنت تشغل بالهم إلى حيث لا بد لهم أن يتركوا لك شيئاً تفخر به !

مصطفى — لا تنس أن كل هذا عنصر هام من عناصر الجذب السياحى . . والسياحة . . كما تعلم قد أصبحت مورداً هاماً من موارد البلد .. لقد قرأت منذ بضعة أيام أنها ستدر علينا من العملة الصعبة . . أكثر من قناة السويس .

عمر — لاتحاول أن تقنعنى بأن أصحابه بنوه لكى يكون مورداً للعملة الصعبة .

مصطفى — طبعاً لا . . أنا أعرف أنهم بنوه . . .

عمر — (مقاطعاً) لكى يكون مأوى لأجسادهم . . وجعلوه من الروعة بحيث أصبح علينا نحن أن نصونه ونفاخر به ولا نملك إلا أن نفعل هذا . . ولسنا وحدنا الذين جرنا أجدادنا إلى هذا المطب .

عندما كنت أدرس فى روسيا ، ذهبت إلى لينينجراد ، ورأيت قصر القيصر . . أية فخامة . . وأى بذخ . . وأية مبالغ طائلة أنفقها فرد . . لكى يصنع مأوى لنفسه . . بالذهب والأحجار الكريمة . . ووقفت أتأمل فى ذهول حجراته الرائعة حجرة بعد حجرة . . وهى تبدو فى بريقها وجدتها كأنما نفض الصانع منها يده منذ لحظات . . وأبديت تلك الملاحظة لمرافقى . . فقال ببساطة مؤكداً . . أجل . . لقد أعيد تجديد كل هذا . . لقد صنع من جديد

حسب نماذج مصورة .. بعد أن دمرها الحصار النازى الذى استمر تسعة أشهر حول لينجراد . . وعنـــدما سألته فى دهشة . . كل هذا أعدتم أنتم صنعه من جديد ؟ . . رد فى تفاخر : أجل . . وقلت لنفسى : أفهم أن يصنع القيصر كل هذا من أجل متعته .. ولـكن لماذا تعيدون أنتم صنعه ؟

وأتم مرافقى حديثه وكأنه يجيب على سؤالى :

— هذا تراث قومى ينبغى أن نحافظ عليه . . إنها آيات من الفن ينبغى لها أن تبقى .

ولقـد كانت فعلا كذلك . . . وهذا هو الخازوق . . وبدا لى كأن القيصر يخرج لسانه قائلا : لم يعجبكم أن أصنع هذا لنفسى للاستعمال . . حسن . . اصنعوه أنتم الآن . . للتفاخر . . لمجرد أن تقولوا للناس فى تيه وإعجاب : هنا كان يرقد القيصر .

مصطفى — وماذا كنت تريد منهم أن يفعلوا ، أيتركونه أنقاضاً فى خرائب الحرب . وماذا تريد منا أن نفعل الآن؟

عمر — (يهز رأسه فى حيرة) شىء محير ! !

مصطفى — نترك المياه تغمره ، و نقول للناس كانت لنا أمجاد أغرقناها فى قاع النهر .

عمر — (يقلب شفته) ولمَ لا .. لافتة ببضعة جنيهات ،

وسهم يشير إلى قعر النهر . . « هنـا يرقد المرحوم أمنحتب فى قبر صفته كذا وكذا . . أغرقه السد العـالى الذى منح الحياة للملايين » .

مصطفى — أنت شديد الانفعال بالسد العالى . . أتظن أن حرصنا على بناء المستقبل . . ينسينا المحافظة على أمجاد المـاضى ؟

عمر — (ينظر إلى الساعة ويهتف فى قلق) موعـــد الوردية اقترب . . أين هذا الغبي الذى يحضر المـاء ؟

مصطفى — (فى سخرية) مازال يبحث عن خادم بيت الله لعله قد وجد (سبيل) .

(يبدو رأس صبحى مطلًّا من باب المعبد وهو يصيح)

صبحى — يا باشمهندس . . يا باشمهندس .

عمر — هذا الغبي.. لماذا يصرخ ؟ (صائحاً) ماذا تريد ؟

صبحى — (صائحاً) تفضل . . تفضلا .

مصطفى — ترى ماذا وجد ؟

عمر — دعك منه . . (صائحاً) هيـا بسرعة . . لابد أن العربة قد بردت ، وليس لدينا وقت .

صبحى — (مستمراً فى الصياح) تعال يا باشمهندس .. تعال . .

عمر — (صائحاً) ماذا تريد ؟

صبحى — تعال . . وانظر .

عمر — أنظر ماذا ؟

صبحى — (واضعاً يده حول فمه خافضاً صوته كأنما يخشى أن يسمعه أحد) تعـال . . لترى العجب . . الظاهر أن هنا جوقة ممثلين . . واحدة منهن تبدو بملابسها الراقصة .

عمر — الظاهر أن الرجل قد انخبل .

مصطفى — تعال لنرى .

عمر — ليس لدينا وقت .

مصطفى — بضع دقائق لن تؤخرنا . . هيا بنا .

عمر — ربما كانت إحدى الشركات السينمائية . . تصوّر بعض اللقطات .

مصطفى — ولـكن ليس هنـــاك أى أثر لعربات أو أسلاك ممتدة .

عمر — ربما كانت موجودة فى الخلف .

صبحى — (مستحثاً إياهما) عجيبة . . أشياء عجيبة !

(عمر ومصطفى يصلان إلى باب المعبد ويختفى الثـلاثة داخله) .

(ينزل الستـار)

المنظر الثانى

(بهو المعبـــد . . يبدو البنـاء جديداً . . والنقوش دقيقة . . والألوان واضحة . . صفان من الأعمـدة على جانبي البهو وفى الواجهة باب عريض يؤدى إلى مرسى . . والنيـل يبدو من خلاله . . وعلى اليمين بابان منخفضان وباب كبير تؤدى إليه بضع درجات . . على اليسار وراء الأعمـدة ممر به بئر يحيط بها سور قصير مستدير) .

(صبحى يســـير فى حذر ، وقد أمسك بالصفيحة ووراءه عمر ومصطفى) .

صبحى — كانوا هناك . . لمحتهم يقفون قرب الباب بملابسهم المخططة ، ثم دخلوا واتجهوا إلى هذا الباب الكبير ، واختفوا جميعاً دون أن يلمحنى أحد . . ووقفت أرقبهم مذهولاً . . وبدوا لى فى أول الأمر كأنهم مشخصاتية . . ولـكن حركاتهم المتزنة وأشكالهم المهيبة ، جعلتنى مشدوهاً . ووقفت أرقبهـــم . . لا أنبس بكلمة حتى اختفوا . . وتذكرت الصفيحة فى يدى . . ومياه العربة التى تغلى . .

وكانت هى تسير فى المؤخرة . . ولم تعبر الباب بعد . . بل تلفتت وراءها ووقفت مترددة كأنمـــا نسيت شيئاً . . ووجدتها فرصة سانحة فهتفت بهــا « من فضلك من أين أستطيع أن أملأ الصفيحة ؟ » . . ونظرت إلىّ فى كثير من الدهشة . . وأخذت تفحصنى كأنى مخـــلوق غريب . . ثم أشارت بأصبعها إلى البئر . . وقالت فى صوت رقيق : « من هنـا » . . ثم صعدت الدرج واختفت وراء الباب . . وانطلقت أنا أدعوكما لتريا . . بعيونكما .

عمر — (مبهوراً بكل ما حوله) عجيبة . . هـذه ليست آثار . . هذا بناء جديد .

مصطفى — ألم أقل لك .

عمر — قلت لى ماذا ؟

مصطفى — قلت لك . . إن هـــذا تراث قيم ينبغى أن نحافظ عليه . . إنها أمجاد المـاضى . . لايجب أن يطمسها الحـاضر أو المستقبل .

عمر — ماهذا الذى تقول . . عن أى تراث تتحدث . إنه حاضر . إنها ليست آثاراً . ألا ترى الحصر المفروشة . ألا ترى الألوان والنقوش !

مصطفى — إنها معجزة .

عمر — ليست معجزة . . لابد أن بره وسنا شيئاً . . اسمع يا صبحى . . أمتأكد أنت أنك رأيت أناساً هنا ؟

صبحى — طبعاً يا باشمهندس .

عمر — (يهز رأسه فى حيرة) قد يكونون عمال الآثار، أعادوا ترميم البناء . . ولـكن لـماذا . . إذا كان المعبد بأكمله سينقل من هنا حتى لايغرق . . ماالداعى إلى هذه الترميمات؟

مصطفى — لابد أن المبلغ كان موجوداً فى الميزانية . . وخشيت المصلحة من ضياع الاعتماد .

عمر — هذا إسراف . . جنون . . ولـكن لماذا يرتدى عمال الآثار الملابس المخططة . . أمتأكد ياصبحى أنهم كانوا يرتدون ملابس غير عادية .

صبحى — طبعاً يا باشمهندس . . كلهم . . لقـد كانوا كالفرقة الراقصة التى نراها على المسرح فى التليفزيون ، عن إذنكم . . ساملأ الصفيحة .

(يتجه إلى البئر ويحاول أن يملأ الصفيحة) .

(تبدو مريت بالباب الـكبير . . وتهبط الدرجات وقد بدت عليها الدهشة) .

مصطفى — ها هى .. ذى .

عمر — عجيبة !

مصطفى — وجميلة .

عمر — جداً . . أظنها ممثلة .

مصطفى — من أين ؟

عمر — وجه جديد .

(تقترب مريت منهما وتفحصهما كأنما تفحص حيوانين غريبين)

مريت — اثنان جديدان .. الآخر كان سميناً .. ما هذا الذى ترتدونه . . ومن أين جئتم ؟

عمر — (وقد بدا عليه الشعور بالخجل وهو يرى نفسه تحت الفحص كمخلوق غريب) نحن . . من القاهرة .

مريت — (باستغراب) القاهرة !

مصطفى — (باعتزاز) ولكننا نعمل هنا فى السد . . فى الضفة الأخرى .

مريت — (بخوف) فى الضفة الأخرى . . منذ متى أتيتم ؟

عمر — منذ مدة .

مريت — كثيرون ؟

عمر — ثلاثون ألفاً .

مريت — (تصرخ فى جزع) مرة واحدة . . هذه

كارثة . . لقد تحققت النبوءة .

مصطفى — أية نبوءة ! ؟

مريت — النبوءة التى أسرّوا بها إلى أبى .

عمر — أبوك .

مريت — أجل .. لقد أكدوها له .

مصطفى — ومن يكون .. السيد والدك . . لم نتشرف بمعرفته بعد ؟

مريت — أبى . . فرعون .

عمر — (فاغراً فاه) فر . . فرعون .

مصطفى — (يضحك) هكذا مرة واحدة . . وبم أنبئوه ؟

مريت — أنبئوه بالغزو القادم من الشمال .

(صبحى مقبلا وهو يحمل صفيحة المياه وقد أغرقت المياه ملابسه) .

صبحى — لا أعلم كيف يخرجون المياه . . لقد كدت أغرق .. ولكنها مياه حلوة .. باردة كالثلج . . هل من يشرب ؟

مريت — (تنظر إليه فى جزع) مخيف . . لابد أن أنبئهم بما حدث لكى يتخذوا أهبتهم .. لن يتركوكم تهربون .

عمر — (يمسك يدها) سيدتى .

مريت — دع يدى والا صرخت .

عمر — أرجوك لاداعى للفضيحة .. افهمينا .. ودعينا نفهمك .. أؤكد لك . . أننا لا نفهم شيئاً من كل هذا . . النبوءة .. والغزو . . والسيد فرعون . . والدك . . كل هذه ألغاز محيرة . . لماذا لانجلس للتفاهم .

مريت — نتفاهم على ماذا ؟ ! إذا كنتم قد أتيتم للغزو .. فليس لى سلطة التفاهم معكم .

عمر — غزو ماذا يا سيدتى ؟ . نحن مهندسون فى السد . . نعمل فى الضفة الأخرى .

مريت — فى الضفة الأخرى .. وقادمون من الشمال ؟!

عمر — (ينظر إلى مصطفى فى حيرة) نحن قادمون من الشمال ؟

مصطفى — طبعاً . . القاهرة فى الشمال .

صبحى — أنا من ملوى .

مصطفى — يعنى من الشمال .

مريت — وثلاثون ألفاً ؟!

عمر — تقريباً . . بالخبراء .

مريت — هذا مخيف . . مخيف . . النبوءة بعينها .

عمر — سيدتى .. أرجوك .. نحن نعمل فى السد .

مريت — السد !؟

مصطفى — أجل . . السد العالى .

صبحى — ألم تسمعى عنه .

مريت — لا .

صبحى — غير معقول . . فى أسوان ولا تسمعين عن السد ؟

مصطفى — فى مصر ولا تعرفين السد !؟

عمر — فى عصرنا هذا .. وتجهلين السد .. معجزة القرن العشرين !

مريت — القرن العشرين . . ماذا تعنى ؟

عمر — أعنى القرن العشرين بعد الميلاد .

مريت — ميلاد من ؟

مصطفى — المسيح .

مريت — ومن يكون ؟

عمر — لا . . هذا غير معقول . . الظاهر حقيقة أن أباك فرعون .

مريت — طبعاً . . ماذا تظننى ؟ . . أكذب عليك . . سأنادى الحراس حتى . . تعلم .

عمر — لا . . لا . . لاضرورة أبداً . . أنت ابنة فرعون . . ابنة فرعون .. هيا بنا ياجماعة . . دعونا نعد ، وقت الوردية أزف .

مريت — (فى تشكك) تعودون إلى أين ؟

صبحى — إلى الشغل . . ماذا حسبتِنا ؟ عواطليه ؟

مريت — تذهبون .. لكى تعودوا مرة أخرى ومعكم الباقون .. لا . . لا .. لابد أن أبلغ الحرّاس لكى يقبضوا عليكم ويستجوبوكم .

عمر — (فى ضيق) يانهار أسود نحن لم نفعل شيئاً يستحق الاستجواب . . وليس لدينا وقت لهذا اللعب . . ثم من الذى له سلطة القبض علينا واستجوابنا ؟

مريت — سترى (تهم بالصراخ) .

مصطفى — سيدتى .. أرجوك (لعمر) وبعدين .. دعنا نأخذها على عقلها . . قد تكون ابنة عمدة وبها هفة . . أو شىء من هذا القبيل وتدعى أننا اعتدينا عليها . وتدعو الخفراء يقبضون عليك .. وحتى تثبت أنك مهندس تكون قد لقيت الكفاية من الضرب والبهدلة .

(لمريت) سيدتى نحن تحت أمرك . . ولكن تأكدى أننا لا نلحق أذى بأى مخلوق .

مريت — إذن ما الذى أحضركم إلى هنا ؟

عمر — العربة وقفت هنا .

مريت — معكم عربة ؟

مصطفى — طبعاً .

مريت — من عربات الغزو ! ؟

صبحى — لا عربة جيب ٦ سلندر موديل ٥٤ .

مريت — لا أفهم .

عمر — (مغمغماً) ولن تفهمى أى شىء . . ولن نأخذ منك سوى العطلة وضياع الوردية .

مريت — ماذا تقول ؟

عمر — أحدث نفسى . . مجنون .

مريت — يظهر هذا .. لنكلم العقلاء (توجه القول إلى مصطفى) .

مريت — لماذا وقفت العربة هنا ؟

صبحى — سير المروحة انقطع والعربة سخنت .

مريت — لا أفهم .

عمر — بالاختصار أصابها عطل .

مريت — وماذا أدخلكم هنا ؟

صبحى — لملء صفيحة المياه . . كما طلبت منك . . ألا تذكرين ! .

مريت — أجل . . أذكر . . وإلى أين تذهبون ؟

مصطفى — إلى الموقع .

مريت — أى موقع ؟

عمر — (فى ضيق) موقع السد . . ياسيدتى . . دعينا نذهب . . لقد أزف الوقت .

مريت — (فى إمارة) . . إذا لم تصمت أنت . . سأنادى الحراس يضعونك وحدك فى السجن . أفهمت ؟ ! قلتم إنكم ذاهبون إلى موقع السد . . وإنكم تعملون فى بناء السد . . وعددكم ثلاثون ألفا ؟ !

مصطفى — تقريباً .

مريت — عجيبة ! ! هذا المعبد الضخم لم يعمل فى بنائه أكثر من ثلاثة آلاف . . لابد أن يكون هذا الذى تبنونه . . شيئاً هائلا .

عمر — طبعاً .

مريت — هل تظنون فرعونكم يستحق هذا الشىء الضخم ؟ !

مصطفى — فرعوننا ؟

مريت — الذى تبنون له هذا الشيء الذى تسمونه السد .

عمر — ليس لدينا فرعون .

مريت — ليس لديكم فرعون ؟ . . من الذى يحكمكم ؟

عمر — واحد منا .

مريت — عجيبة . . ومن أجل من إذن تعملون السد ؟

عمر — من أجلنا جميعاً .

مريت — (فى دهشة) ماذا تقول ؟ ستدفنون فيه جميعاً .. هذا هو السر إذن .

عمر — (فى ذهول) أى سر ؟ .

مريت — سر الثورة التى حدثت بين الشعب . . لابد أنكم المحرضون عليها .

مصطفى — محرضون على ماذا ؟

مريت — على المطالبة بحق التمتع بالجنة السماوية كى تصبح حقاً مشاعاً لكل الشعب على السواء . . أنتم الذين حرضتم على نشر المبادىء الثائرة من أجل حرية التمتع بالجنة السماوية .

عمر — (لمصطفى) فاهم ؟!

مصطفى — ولا فاهم حاجه أبداً . الظاهر أن بها خبلًا .

مريت — (مستمرة) ومن أجل هذا تريدون دفن الشعب كله فى مقبرة واحدة مع فرعون . . حتى يذهبوا كلهم معه فى السماء .

عمر — (فى هدوء) سيدتى . . أرجوك .. نحن لا نبنى السد لكى يدفن الشعب فيه . . بل لكى يعيش منه .

مريت — ماذا تعنى ؟

عمر — أعنى أننا نقيمه على النيل لكى نحجز به كل المياه الضائعة فى البحر وقت الفيضان . . ونتحكم فى استعمالها كما نشاء طوال العام . . ثم نروى بها المزيد من الأرض ونطعم بها المزيد من الناس . . عندنا ثورة ولكن من أجل حق الحياة . . لا من أجل حق الموت والآخرة ، والجنة السماوية .

مريت — (تهز رأسها فى دهشة) هذا كلام عجيب . . أشياء عجيبة تدور من حولنا دون أن ندرى عنها شيئاً . . لا بد أن نكون قد بلغنا آخر الزمن . . هؤلاء الناس الذين استقروا فى وطنهم . . قد ثاروا من أجل حقهم فى الجنة السماوية . . يريدون مشاركة فرعون فيهـا . . وراحوا يهاجرون إلى الشمال . . إلى حقل القربان فى هليوبوليس بعد أن يئسوا من الصعود إلى السماء مع النجوم الثابتة

حيث ينعم فرعون وأخصاؤه بالجنة السماوية .

عمر — (فى دهشة) يهاجرون إلى أين ؟

مريت — (فى تأكيد) إلى الشمال . . إلى حقل القربان فى هليوبوليس ، لكى يتمكنوا من الوصول إلى الحقل الجميل على الطريق الطيب . . حتى يتمتعوا بجنة الأرض بعد أن يئسوا من جنة السماء .

مصطفى — (يهز رأسه) يهاجرون إلى الشمال . . أى نعم . . ولكن هليوبوليس . . كثير . . لأنهم قطعاً سيتوقفون فى كوم امبو . . وسيمنحون أراضى . . من يدرى . . قد يجعلونها جنة الأرض .

مريت — أنتم تعرفون إذن بأمر هذه المؤامرة ؟

عمر — أية مؤامرة ؟

مريت — تحريض الشعب على الثورة . . وعلى الهجرة .

عمر — أما من ناحية الثورة . . فنحن فعلا فى ثورة . . ولقد قلت لك إنها من أجل حقنا فى الحياة . . من أجل عدالة توزيع الرزق فى الأرض . . ومن أجل منع الاستغلال فى الدنيا . . أما مسألة حق التمتع بالآخرة السماوية حتى تصبح حقاً مشاعاً لكل الشعب على السواء . . فهذه فى الواقع مسألة لم تخطر ببالنا .

مصطفى — ولو خطرت كيف تدبرها ؟

صبحى — يدبرها الله . . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . . والجنة للمتقين . . الذين إذا . . .

عمر — مفهوم . . مفهوم . . لا نظن أن جنة السماء ستكون حكراً على الملوك والأمراء . . حتى نفكر فى الثورة من الآن .

صبحى — ملوك . . وأمراء مَنْ . . هذا زمن الشعوب .

مريت — (فى استنكار) ما هذا الهذيان . . ألم تسمع ما قيل من أن فرعون صعد إلى السماء بين النجوم الثابتة وأنه تآخى مع نجم الشعرى اليمانيـــة . . ونجم الصباح يرشده وكلاهما يأخذان بذراعه إلى حقل القربان ، وكذلك يقال لفرعون إنك تخترق السماء وتتخذ مسكنك فى حقل القربان بين الآلهة الذين ذهبوا إلى أرواحهم .

عمر — (ينظر إلى الساعة فى قلق) (لمصطفى) لا بد لنـا من العودة . . غير معقول أن تبقينا هذه المخبولة . . لتسمعنا هذا الهذيان عن النجوم التى تأخذ بذراع فرعون إلى السماء . . يجب أن نعود .

مصطفى — أعترف أنها خفيفة الدم .

عمر — ليس هذا وقته .

مصطفى — وجميلة .

عمر — أزف ميعاد الوردية (لمريت) عن إذنك يا سيدتى . . فرصة سعيدة جداً (لصبحى) ياالله ياصبحى . . اسبق بسرعة ، وصبّ المياه فى العربة وجهزها . . مع السلامة.

مريت — (فى إصرار) أتحسبان الخروج بمثل هذا اليسر . . وقد ثبت اشتراككم فى المؤامرة ؟

عمر — (فى غضب) عدنا ثانية إلى المؤامرة .

مريت — ألم تعترف بنفسك بأن الشعب فى ثورة وأنهم سيرحلون إلى الشمال ؟

عمر — قلت إن الشعب كله فى ثورة . . ولست أنت التى تحاسبين الشعب على الثورة . . ولا حتى أبوك إن كان فرعون كما تقولين . . أما الرحيل إلى الشمال . . فهذه مسألة لا بد منها ، إذ لا يمكن بقاؤهم فى هذه الأراضى بعد غرقها .

مريت — غرقها ! ! من قال إنها تغرق ؟

مصطفى — بعد أن يتم بناء السد ، ستغرق هذه الأراضى .

مريت — (فى جزع) من ادعى هذا ؟

عمر — هذا ليس ادعاء . . هذه حقيقة مقررة .

مريت — (فى شرود) ستغرق أرضنا ؟

عمر — بما فيها هذا المعبد الذى نقف فيه .

مريت — (صائحة) هذا المعبد .. يغرق .. مستحيل.. لا تقل .

مصطفى — (مطمئناً) لاتخافى هكذا ، لن نتركه يغرق .. لقد دبرنا أمر نقله .. إلى هضبة عالية .. تصونه من الغرق .

مريت — (فى ذهول) ينقل من هنا .. حتى لا يغرق!

عمر — أجل .. لأنه يعتبر من الآثار القيمة .. التى ينبغى صيانتها وحفظها .

مريت — آثار .. ماذا تعنى بآثار ؟

عمر — نعنى مبـــانى أثرية .. شيدت منذ آلاف السنين .. وهى من التراث القومى الخالد .

مريت — (فى استنكار) آلاف السنين .. أتمزح ؟

عمر — وأى مزاح فى هذا ؟

مريت — يا سيدى .. الذكى .. هذا البناء لم يستكمل إلا منذ بضعة أشهر .

مصطفى — منذ بضعة أشهر ! !

عمر — عجيبة !

مريت — أى عجب فى هذا ! ؟ انظر إلى الجدران .. والنقوش .. أتبدو عليها آلاف السنين ؟

عمر — (يهز رأسه فى دهشة) لا .

مصطفى — حسبناها رممت .

مريت — (فى استنكار) رممت .. أيبدو عليها الترميم ؟

مصطفى — الحق . . لا .

مريت — إننا لم ننته من بنائها إلا منذ بضعة أشهر . . وقد بذل أبى كل مايملك من جهد حتى أتمه .. قبل أن تتحقق النبوءة . . ولقد أوقف كل تلك الأراضى المحيطة به للقرابين الجنائزية .

عمر — القرابين الجنائزية ؟

مريت — أجل . . لتقديم الطعام الذى لابد منه للآخرة . . إن طعامنا فى الآخرة هو التين . . وشرابنا النبيذ ، وشذانا العطر .

مصطفى — باسم الله ما شاء الله . . كل هذا سيقدم لكم . . تين ونبيذ وعطر ؟

مريت — (مؤكدة) بالطبع . . ألا تصدقان ؟

عمر — نصدق . . نصدق ماذا ؟

مريت — لماذا تبدو عليكما كل هذه الدهشة . . تعال .. (تجره من يده نحو الممر الذى به البئر حيث توجد كوة فى الجدار) انظر . . هذا هو بيت الأبدية . . كل هذه الحقول

وقف على المعبد . . ومنها سيقدم إلينا التين . . والنبيذ . . والعطر .

عمر — (يهز رأسه كأنما يحاول أن يفيق من حلم) هذه أشياء عجيبة . . كأننا فى حلم . . هذه الأشجار والزهور . . والتماثيل المحيطة بالبناء . . والقصر الأنيق . . فى الأفق . . والبحيرة الجميلة . . والحقول اليانعة . . التى تنتج التين والنبيذ والعطر . . هذه لا ينبغى لها أن تكون خرائب وأطلالا وآثاراً ، (ينظر إلى مريت نظرة جادة) اسمعى يا سيدتى .. لقد بدأ رأسى يدور . . تعالى نجلس وحدثينا من جديد . . أفهمينا . . من أنت . . وسنحاول أن نفهمك من نحن . . هناك أشياء عجيبة .. لابد أن نفهمها .. أشياء غير معقولة .

مريت — أنا لا أرى بى شيئاً غير معقول . . ولكن أنتم . . هذا السد الذى تبنونه . . وتريدون أن تغرقوا به أرضنا .

مصطفى — نحن لا نقصد إغراق أرضكم ، وقد منحنا كم غيرها .. وسننقل كل المعابد التى ستغرقها المياه .

عمر — ليس بنـــا شىء غير معقول . . ولكن أنت يا سيدتى . . هذا المعبد الجديد . . وأبوك فرعون . . وبيت الأبدية . . والأملاك الموقوفة على القرابين الجنائزية .. هذه

أشياء وجدت منذ آلاف السنين .. أنت لاتعيشين فى زمننا يا سيدتى .

مريت — أنا ؟! ..

مصطفى — أجل .. أنت تبدين كحلم .. أو وهم .

مريت — بكل هذا الواقع من حولى .. بكل هذه الجدران .. والحقول .. أبدو وهماً .. وأنتما .. بثيابكما المضحكة .. وكل ما تتحدثون عنه من خرافات .

عمر — خرافات .. ألا تصدقين .. أن على الضفة الأخرى سداً يبنى .. وآلاف الناس تعمل ؟

مريت — (تهز رأسها فى حيرة) ولماذا ؟! بدل أن تقيموا مقابر تقى أجسادكم وتهيئكم لجنة الآخرة .. تضيعون جهدكم فى حائط على النهر تغرقون به أراضى الآخرين .

عمر — عبثاً نحاول إفهامك .. لماذا لا تأتين معنا ؟

مريت — أين ؟

مصطفى — (فرحاً) إلى الضفة الأخرى .

عمر — لترى بعينيك ماذا نفعل .

مريت — غير معقول .. (تفكر فى حيرة) .

(يسمع وقع أقدام ثم ترى سخمت خادمة مريت) .

سخمت — سيدتى . . سيدى الأمير حور يستعجلك .

مريت — حـور . . (لعمر) إنه أخى . . يستعجل حضورى (للخادمة) قولى له أن يذهب . . سألحق به فى القصر .

سخمت — (لا تنصرف بل تنظر إلى عمر ومصطفى فى دهشة) أتحتاج سيدتى إلى خدمة ؟

مريت — (مضطربة) لا يا سخمت . . إن السيدين غريبان وكانا يطلبان جرعة ماء . . لا ضرورة لأن تخبرى حور عنهما .

(سخمت تنصرف وقد بدا عليها الارتياب) .

مريت — منظركما مريب .. مريب جداً .. ولن يصدق أحد هذه الخرافات التى تحكونها . . والبلد فى حالة غليان . . الثورة .. والهجرة .. وكل غريب هنا يدعو إلى الريبة .

عمر — ولـكنك أنت .

مريت — أنا ماذا ؟

عمر — لم تعودى ترتابين بنا .

مريت — وماذا يهم ؟

عمر — أبداً .. الإنسان يحب دائماً أن ينصف نفسه .. لا داعى لأن ترتابى بنا بغير مبرر للريبة .

مريت ــ أشعر أنكما مخلصان . . وما تقولانه يقنعنى إلى حد ما . . ثورة الشعب من أجل حق الحياة . . أولى من ثورته من أجل حق الآخرة . . والسد للحياة . أولى من المقابر للجثث . . أشياء كثيرة فى حياتنا كانت تقلقنى ، وقد زادنى كلامكما قلقاً منها .

مصطفى ــ وستأتين معنا . . لترى واقعنا . . كما رأينا واقعك .

مريت ــ لست أدرى .

عمر ــ لماذا . . ألا تثقين بنا ؟

مريت ــ أنا أثق بكما . . ولكن كيف أقنع من حولى أن يثقوا بكما .

(تسمع صوت خطوات مقتربة . . ثم يبدو حور وراءه سخمت وتابع آخر)

مريت ــ (تخفى عمر ومصطفى) . اختبئا أرجوكما . . إنه غيور وقاس . . وليس من وقت لتفسير وجودكما .

(يختبىء عمر ومصطفى وراء باب)

حور ــ هيا يامريت .. إن أبى فى انتظارنا .. إنه شديد القلق . . بعد أن اجتمع بالوزير موس . . الذى أنبأه عن اضطرابات حدثت . . وأن الشعب يطالب بالتمتع

بالآخرة السماوية . . وقد بلغنى أن بعض الجواسيس قد تسربوا إلى البلد آتين من الشمال . . لكى يشيعوا الاضطراب فى البلد .. توطئة للغزو الذى تحدثت عنه النبوءة.

مريت — كلام فارغ .

حور — بل كلام أكيد . . لقد أمرت بإجراء تفتيش دقيق .. هيا بنا .. حتى لا يزداد قلقه .

مريت — إنى آتية .. سألحق بك حالا .

(يخرج حور ووراءه التابع .. وتبقى سخمت)

سخمت — (فى قلق) : سيدتى .. هذان الغريبان اللذان كانا يقفان هنا فى المعبد .

مريت — مالهما ؟

سخمت — إنى أخشى أن يكونا . . .

مريت — لا تخشى شيئاً .. ولا تقولى شيئاً لأحد .

سخمت — أواثقة أنت يا سيدتى ؟

مريت — أجل . . أجل . . اذهبى أنت وسألحق بك حالا .

(تخرج سخمت .. ويظهر عمر ومصطفى)

مريت — اخرجا بسرعة .. وانصرفا . . قبل أن يراكما أحد .

عمر — سيدتى .

مريت — نعم .

عمر — لم أعرف اسمك بعد .

مريت — اسمى مريت .

عمر — واسمى عمر .

مريت — عمر .

مصطفى — وأنا مصطفى .

عمر — (ينظر إليها فى إعجاب شديد) مريت .

مريت — (تنظر إليه برهة .. ثم تبتسم) تنطق باسمى بطريقة جميلة ، قله ثانية .

عمر — مريت .

مريت — (ضاحكة) لم أعرف أن له هـذا الرنين .. (فى قلق) اذهبا بسرعة .

عمر — ماذا دفعك إلى الثقة بنا إلى هذا الحد .. بعد كل ما سمعت عن الجواسيس الذين يبحثون عنهم ؟

مريت — جواسيس (ضاحكة) أنتما أغبى من أن تكونا جواسيس .

مصطفى — شكراً .

عمر — ستأتين إلينا ؟

مريت — ربما .
عمر — عدينا .
مريت — فى يوم ما .
مصطفى — قريباً ؟
مريت — أجل . . أجل . . اذهبا قبل أن يعود حور ويقبض عليكما .. اذهبا .. إنه غيور .. وقاس .. مع السلامة .

(عمر ومصطفى يخرجان)

عمر — سنلتقى ثانية ؟
مريت - أجل .

(ستار)

الفصل الثانى



قدرة .. قادر

المنظر الأول

(موقع السد . . جسم السد ، مكان الردم فى الصنادل . على شاطىء النيل .

(الوقت ليـــلا وتبدو فى المواجهة الشرفة الخشبية الممتدة فوق الجرف حيث تبدو للواقف عليهـا أعمـــال تفريغ الصخور من اللوريات فى آلة الفرز ثم تعبأ فى الصنادل كى تفرغها فى موضع جسم السد . وفوقهـــا وقف المهندس قدرى يرقب العمل ، وعلى اليسار كشك خشبى صغير يقف ببابه مساعده جمال . . تسمع أصوات اللوريات مختلطة بأصوات قذف الصخور وصوت دوران آلة الفرز . وعلى اليمين تبدو لافتة كتب عليها : يا بناة السد باق ١٢٠ يوماً . . يقبل عبد الغفار الملاحظ معفر الثياب ويصيح وسط الضجيج مخاطباً جمال)

عبد الغفار ــ لورى ٢٤ معطل فى مدخل النفق .

جمال ــ شغل بدله لورى من الورشة ، واسحبوه من الطريق بسرعة .

عبد الغفار — ومن يشتغل عليه ؟

جمال — عندك عبد الوارث .

عبدالغفار — دخل المستشفى .

جمال — لمه . . ماذا به ؟

عبد الغفار — أمس وهو يلف بعربته بعد أن أفرغ حمولته . . ضربته عربة خلفه من فرط عجلتها . . وقد ضغط الدركسيون على صدره . . واستمر يعمل حتى آخر الوردية .. وهو يشعر بألم فى صدره . . وقرب الفجر لم يستطع مقاومة الألم . . وذهبوا به إلى المستشفى فاتضح أن ضلعين من أضلاعه مكسوران .

جمال — مسكين .. كان ينبغى عليه أن يكف عن العمل بمجرد أن أحس بالألم .

عبد الغفار — لا أحد هنا يريد أن يكف عن العمل .

(يقبل المهندس قدرى من فوق الشرفة وفى نفس الوقت يصعد السائق صبحى من أسفل المنحدر ليلتقيا أمام الكشك الخشبي)

قدرى — ماذا هناك ؟

جمال — محتاجون لسائق .

صبحى — أنا مستعد .

عبد الغفار — لم يحل بعد موعد ورديتك .

صبحى — قلت لك إنى مستعد .

جمال — إنك لم تسترح بعد من الوردية السابقة .

صبحى — استرحت .. وكان المفروض أن أسوق للباشمهندس عمر العربة الجيب فى مشوار خصوصى .. ولكنه زاغ وحده مع المهندس مصطفى .

قدرى — ذهبا إلى أين ؟

صبحى — (يرفع كتفيه فى استنكار) وماذا عرفنى.. من عادتى عند ما أسوق . . .

جمال — (مقاطعاً) انتهينا .. إذا كنت مستعداً للعمل فاذهب مع عبد الغفار .

صبحى — (لعبد الغفار) . . مستعد جداً .

عبد الغفار — هيا بنا بسرعة .

(يسرعان بالخروج . . قدرى وجمال يسيران نحو الشرفة)

قدرى — أطوار عمر هذه الأيام غريبة .

جمال — كيف ؟

قدرى — ألا تراه دائماً شارد الذهن .

جمال — قد يكون هناك مايشغله، من منا بلا مشكلات .

قدرى ــ وماذا يمكن أن يكون لديه من مشكلات . . أعزب .. خالى القلب . . خالى البال .

جمال ــ ربما كانت صحة أمه هى التى تشغله .. لقد كانت مريضة فى الشهر الماضى .

قدرى ــ أمه على خير حال .. لقد أنبأنى أنها حضرت لزيارته هى وأخته التى تعمل فى الإذاعة . . وهما تقيمان معه فى مسكنه .

جمال ــ قد يكون هذا هو ما يشغله .

قدرى ــ لا أظن . . لقد كان اليوم حريصاً على الانصراف بسرعة بعد الوردية ، وأنت تعرف تسكعه معنا .

جمال ــ (مؤكداً) لأنه يريد أن يذهب إلى البيت . . لأمه وأخته .

قدرى ــ ألم تسمع من السائق صبحى أنه ذهب مع مصطفى فى مشوار خصوصى ؟

جمال ــ لا تصدق هذا الغبى .

قدرى ــ أنا أعرف أن لهما اختفاءات مريبة هذه الأيام .. وهو يعود منها دائماً شارد الذهن . . وهذا الذى تظنه غبياً .. لا شك يعرف كل شىء .

جمال — ياشيخ . . بلا أوهام . . أى مجال تظنه هنا للاختفاءات المريبة ؟

(يتوقف قدرى وينظر أسفل المنحدر حيث يرى عمر ومصطفى ومعهما سيدة)

قدرى — انظر .. ها هما قد عادا ، ومعهما فتاة .

جمال — قد تكون أخت عمر .

(يدخل عمر ومصطفى صاعدين من المنحدر تصاحبهما مريت وقد ارتدت ملابس عصرية ويقتربون من الشرفة)

عمر — مساء الخير .

قدرى — أهلا .. مساء النور .

مصطفى — سنلقى نظرة من الشرفة لنعطيها فكرة عن العمل هنا .. بعد إذنك .

قدرى — تفضل .

(يتقدم عمر وهو يمسك يد مريت ووراءهما مصطفى نحو الشرفة)

(قدرى ينظر إليهم وهم يسيرون ثم ينظر إلى جمال نظرة ذات معنى ثم يحدثه بصوت لا يسمعه الباقون)

قدرى — إذن هذا هو السبب .

جمال — وكنت تظنه خالى القلب . . خلى البال .

قدرى — لم يقل لى كلمة عنها .

جمال — لطيفة !

قدرى — فقط ؟ .. إنها تحفة .

جمال — أين عثر عليها ؟

قدرى — اصطادها من بين المعـابد .. لا بد أنها تزور الآثار . . حلال عليه .

جمال — ولـكن لماذا تتهمه هو فيها .. أليس من المحتمل أن تـكون تبع مصطفى !

قدرى — لا أظن .. كل هذا الاهتمام . . وتـكون تبع مصطفى .. أنت تعلم ثقل عمر .. ليس من السهل أن يطوى، ولـكنه مع صاحبتنا يكاد يحملها من فوق الأرض .. هيا بنا نرى اللوريات .

جمال — هيا .

(مريت تقف على الشرفة متـكئة على
السور الحديدى بين عمر ومصطفى وقد بدا عليها
الذهول وهى تتطلع إلى من حولها)

مريت — أهذا هو ليلـكم ؟

عمر — أجل .

مريت — ولكن لماذا .. لماذا قلبتموه نهاراً ، وكيف؟

عمر — لماذا ؟ لأن نهارنا لم يعد يكفى .

مريت — يكفى ماذا ؟

عمر — ما نريد أن ننجزه .

مصطفى — (مشيراً إلى اللافتة) . لا بد أن تنتهى المرحلة الأولى .. قبل أن تنتهى أيام هذه اللافتة . . نحن فى سباق مع هذه اللافتة . . كل يوم ينقص منها . . لا بد أن نضع فى النهر آلاف الأطنان من الصخور .

عمر — ولا بد أن نحفر من باطن الجبل . . وأن نبنى من الأنفاق .

مريت — ومن يكرهكم على هـذا . . من يدفعكم إلى هذه الحركة الجنونية . . بلا سياط تلهب الظهور ؟

عمر — أشياء كثيرة .. أولها إرادة التحدى .

مريت — تحدى من !

عمر — تحدى الزمن الذى تركنا نغفو .. والعالم يطير .. والذى يحمل إلينا النسل .. ويقبض يده بالرزق .

مصطفى — وتحدى المستخفين بنا . . الهازئين منا . . المنكرين لحقنا فى الحياة الكريمة .. الذين يؤكدون من آن

لآخر .. أننا لن نقيم السد .

مريت — ومن هؤلاء . . ولماذا ينكرون عليكم حق الحياة !

عمر — تاريخ طويل يامريت .. لقد استعبدنا كثيراً ، لقد استغلت أراضينا وجهودنا . . واستنزفت مواردنا . . ولم يترك لنا سوى الفتات .. وعند ما ثرنا من أجل حقنا فى الأرض وحقنا فى نتاج الجهد والعرق ، لم يكن من السهل أن يترك المستعبد ما أنشب فيه أظافره طوال قرون الاستعباد . . ولما أردنا أن نبنى هذا السد نبحث عن إشراقة المستقبل لم يكن لنا منه إلا مزيد من القيود . . وفى الشمال لنا قناة حفرناها بأيدينا وأسناننا .. وبالسياط على ظهورنا .. ولما قلنا نأخذ إيرادها من أجل بناء هذا السد . . عاد هذا المستعبد يريد أن يغزو ديارنا ، ويدمر أراضينا .

مريت — (فى جزع) وماذا فعلتم ؟

مصطفى — طردناه .. وأثرنا العالم كله عليه .. وخرج ذليلا كاللص متلبساً بجريمته .

عمر — وبدأنا نشيد السد بأيدينا ، وبمعاونة أصدقاء كرماء ، لم يضعوا لمعونتهم قيداً ولا شرطاً .

مريت — وما حاجتكم الشديدة إلى هذا السد ؟! لماذا

أنتم حريصون على إقامته كل هذا الحرص ؟

عمر — حريصون عليه من أجل حياة أبنائنا . . الذين يتكاثفون على الأرض يوماً بعد يوم . . ومياه النيل تهدر فى البحر .. والأرض الطيبة جرداء قاحلة محرومة من المياه الضائعة .. التى تنبت الزرع . . وتمنح الحياة .

مريت — وماذا يجرى هنا على الجرف . . ما هذه الصخور التى تقذف من العربات .. وماذا يفعل بها . . وإلى أين تحملها المراكب ؟

مصطفى — الصخور تحملها اللوريات من الجبل لتفرغها فى الصنادل لتلق بها فى عرض النهر لإقامة السد .

عمر — وهذا الغربال الحديدى الذى يبدو أسفلنا لا يبق به سوى الصخور الكبيرة التى تفرغ فى الصنادل . . أما الصخور الصغيرة والأتربة فتحمل لتلق فى أمكنة معينة من جسم السد ، الذى يبدو هناك حيث تقف الصنادل لتلق بصخورها . . وقد بدا سطحه على وجه الماء من ناحية الشاطىء حيث تقذف إليه اللوريات بالصخور مباشرة .

مريت — أشياء عجيبة . . وماذا يحدث عندما يقوم السد فى النهر ؟

مصطفى — سينحدر المجرى فى قناة جانبية محفورة فى الجبل حول المكان الذى أقيم به السد .

عمر — عندما ننتهى من مشاهدة أعمال الردم .. سنذهب إلى هناك لنشاهد حفر القناة . . وبناء الأنفاق .

مريت — كل هذا عجيب .. عجيب . . ولكن أعجب منه هؤلاء الناس المتلهفون على العمل . . انظر هذا اللورى يكاد يدفع الذى أمامه ليحل محله .. وهذا المركب يقف على أهبة الاستعداد لا يكاد الذى أمامه يتحرك خطوة . . حتى يندفع ليحل مكانه فى هذه الخطوة . . كأنى بكل منهم يخشى أن تضيع منه لحظة بلا عمل .

عمر — إنهم فعلا كذلك .

مريت — وبلا فرعون . . رمز القوة ، وبلا أعوان له ، يلوحون بالإرهاب .

عمر — بل بزعيم .. رمز حب ، وخير وعدل وحق .. وبأعوان .. يلوحون بالمثل الطيبة والتواضع والعمل .

مصطفى — نحن كلنا نتحرك كتلة واحدة .

مريت — (تهز رأسها فى إعجاب وتبتسم) .

عمر — لماذا تبتسمين ؟

مريت ــ يبدو لنا . . أنه قد آن الأوان لنـا . . نحن أجدادكم الفراعنة ـ كما تصرون على الزعم ـ بأن نفاخر بأحفادنا .. إنكم حقاً شيء يستحق الفخر . .

مصطفى ــ لقد طالما فخرنا بكم .. بحضارتكم .. بتقدمكم.. بتفوقكم ، بنوركم الذى شع فى عالم الظلمات وقد آن لـكم أن تردوا لنا هذا الافتخار .

عمر ــ (محدقاً فى وجه مريت بإعجاب) أنا شخصياً . . لم أحاول أبداً التفاخر بأجدادى .. إلا بعد أن رأيتك .

مريت ــ أنا ؟ !

عمر ــ أنت جدة خطيرة .

مريت ــ أغزل هذا؟

عمر ــ ولِمَ لا . . إنى أحس بخطورتك فعلا .

مصطفى ــ ومنذا الذى لايحس بها !

مريت ــ والفواصل الزمنية بيننا ؟

عمر ــ كل الفواصل الزمنية تتهاوى أمام عينيك . .

مريت ــ أمسموح الغزل عنـدكم . . فى وسط هذه المعمعة من العمل ؟

عمر ــ نحن فى الراحة .. لقد انتهت ورديتنا .

مريت — (تلمح صبحى فجأة يدير عربته ليفرغ الصخور) . . الله . . أليس هذا . . زميلكم الذى كان يحمل الصفيحة ؟

عمر — (ينظر فى انزعاج) أجل . إنه صبحى . . تعال قبل أن يراك .. حتى لا يثير لنا مشكلة .

(قبل أن تتحرك يلمحها صبحى من أسفل ويسمع صوته صائحا)

صبحى — الله . . ما هذا ؟ . . مساء الخير ياست . . مساء الخير .

(يترك صبحى العربة ويسرع إلى الشرفة)

صبحى — أهكذا يا باشمهندس تخلى بى . . وتتركنى .

(يبدو قدرى وجمال مقبلين) .

مصطفى — (يحاول أن يسكت صبحى) اسمع ياصبحى.. اذهب الآن إلى العربة . . وسأراك غداً .

صبحى — ياباشمهندس العربة تفرغ حمولتها . . دعنا نسلم على الست . . أهلا وسهلا .. الموقع نور .

مريت — أهلا بك . . كيف حالك ؟

(يسلم على مريت فى حرارة)

صبحى — رضا (ينظر إليها فى إعجاب) ياماشاء الله ..

هـكذا والا فلا .. هذا أحسن كثيراً من ثوب التمثيل المخطط الذى كنت ترتدينـــه . . طول عمرى . . لا أحب ثياب الرقص .. حتى ولو كانت حشمة .

(قدرى وجمال يسمعان كلام صبحى من بعيد فتبدو عليهما الدهشة)

قدرى — صاحبتك طلعت راقصة . . ألم أقل لك إن هذا الغبي يعرف كل شىء .

جمال — ترى من أين التقطها عمر ؟

قدرى — ياماتحت السواهى دواهى .

(مصطفى يجر صبحى من يده هابطاً به إلى العربة حتى يتخلص منه)

مصطفى — تعال .. تعال الله يهديك .. اطلع بالعربة حتى لا يتعطل العمل .

صبحى — ياباشمهندس .. لابد أن نعمل الواجب للست .. لقد أكرمتنا هناك .. فى بيت والدها المعلم فرعون .. وكنا نظنه بيت الله . . ملأت لنـــا الصفيحة . . أفلا أقل من أن ندعوها لفنجان قهوة . . أو زجاجة كازوزة ؟

مصطفى — بعدين ياصبحى ، بعدين . . تعال .. تعال ..

(يهبطان إلى العربة)

قدرى — (لجمال) والدها المعلم فرعون .. يعنى اسمها ..
حاجه .. فرعون . . هل سمعت بهذا الاسم من قبل ؟

جمال — لا .

قدرى — ربما كان لها اسم شهرة . . زمبلك . . أو
كيت كات . . أو أى شيء من هذا القبيل .

جمال — ربما .

(يهبط عمر ومريت من الشرفة ويصعد مصطفى وحده
بعد أن تخلص من صبحى ويلتقون بقدرى وجمال)

قدرى — انتهيتم ؟

عمر — أجل . . أعطيناها فكرة سريعة .

جمال — لم نتشرف بالتعرف على الآنسة بعد .

عمر — (مرتبكا) الآنسة . . مر . . مريم .

قدرى — مريم فرعون ؟

مصطفى — (فى ذهول) كيف . . كيف عرفت ؟

قدرى — ومن الذى يجهلها .

عمر — (يجر مريت من يدها فى عجلة) .. عن إذنكم ..
لابد أن نذهب إلى الأنفاق وننتهى منها بسرعة . . السلام
عليكم .

(ينحدر الثلاثة)

عمر — (لمصطفى) مريم فرعون . اسم معقول .. هذا الغبي صبحي كاد يفضحنا . . كان يجب أن ننبه عليه .

مصطفى — لم نكن نتوقع أن نراه مطلقاً .

عمر — الحمد لله أن لحقناه قبل أن يفضحنا .. لو قلت لهم ماحدث لاتهمونا بالجنون .

مصطفى — أو بالتحشيش .

(يخرج الثلاثة هابطين إلى العربة)

قدرى — (يهز رأسه فى حيرة) مريم .. بنت المعلم فرعون .

جمال — وكانت ترتدى ثياب الرقص .

قدرى — لايبدو عليها أبداً أنها راقصة . . إنها تتحرك كأميرة .

جمال — يا أستاذ .. الراقصة .. تتحرك أفضل من أميرة . . إنها محترفة حركة .

« ستار »



المنظر الثانى

(فى مدخل القناة المحفورة فى الجبل . على الجانبين يبدو الجداران العاليان المنحوتان فى الصخر وفى المواجهة حائط الاسمنت الضخم تبدو فيه فتحات الأنفاق التى ستوضع عليها بوابات الصلب التى تنظم حجز المياه) ..

(معركة العمل على أشدها تبدو من بعيد فى الأنفاق .. يسمع صوت نسف الصخور والآلات القاضمة للصخور فى مقدمة الوادى المحفور الذى لا يبدو للشاهدين) ..

(تدخل مريت وعمر ومصطفى يتقدمون تجاه الأنفاق ثم يتوقفون برهة ينظرون الجدران الشاهقة ويرقبون عملية تحطيم الصخور) ..

عمر — هذا هو مدخل القنـاة التى حفرت فى الجبل لتدور حول المنطقة حيث أقيم السد وتنتهى إلى النهر مرة أخرى ليتحوّل فيهـا مجرى النهر بعد أن يغلق السد مجراه الأصلى .

مصطفى — ومن هنا حفرنا القناة فى الجبل حتى هذا الجزء الذى تبدو منه مداخل الأنفاق . ثم شقت الأنفاق داخل الصخر لمسافة معينة يبدأ بعدها الجزء الذى حفر فى الجبل من الناحية الأخرى ليتمم مخرج القناة إلى النهر .

عمر — وعلى فتحات النفق ستوضع بوابات الصلب الضخمة التى تحجز المياه لكيلا تهدر فى البحر وقت الفيضان وتخزنها وراء السد فى بحيرة شاسعة تغمر كل الأراضى التى وراء السد .

مصطفى — بما فيها الأراضى التى تقطنونها .

مريت — والمعبد . . وكل شىء ؟

عمر — (يهز رأسه موافقاً) أجل . . كل ما وراء السد .

مريت — (فى دهشة) أتغرقون البلاد كلها . . لكى تخزنوا المياه فوقها . . لمه . . ومن أجل من ؟

عمر — من أجل الملايين المكدسين فوق شريط ضيق من أرض خضراء ، تروى بما يشبه النشع من مجرى النيل .

مريت — ولكن لماذا لايعملون لكى يزرعوا بقية الأرض ؟

مصطفى — أى أرض ؟

عمر — يامريت . . مشكلة عالمنا لم تعد الجهد . . بقدر ما هى مشكلة أين يبذل الجهد . . لم تعـــد أزمة الإنسان الذى يزرع الأرض . . ولـكنهـا أزمة الأرض التى تطعم الإنسان . . لقد اعتصرت الأرض . . اعتصرت عصراً . . اعتصر فحمها وحديدها وبترولها . . والقوة البشرية تزداد وتتكاثف ، والأرض تعتصر خيراتها . . وتضيق رقعتها .. والمحاولات تبذل لمزيد من الاعتصار والاستغلال .

مريت — (تهز رأسهـا فى حيرة) لا أستطيع أن أصدق .

مصطفى — بل لقـــد بدأ البحث عن بديل للرقعة الأرضية . . فى كواكب السماء .

مريت — البحث فى السماء . . السماء لا تحتاج إلى بحث .. جنتنا موجودة .. نحن نعرفها جيداً . . إن مأوانا .. نحن المختارين .. فى السماء بعد أن ينتهى مصيرنا فى الأرض .

عمر — لا نقصد هذا . . نحن نبحث فى السماء عن بديل للأرض . . عن مقر لأجسامنا . . لا لأرواحنا .

مصطفى — (ضاحـــكا) مقر الأرواح ليس من اختصاصنا . . بل من اختصاص من يأخذ تلك الأرواح

يضعها حيثما شاء . . إنما الذى يشغلنا الآن هو مصيرنا على الأرض . . مصير هذه الأفواه الجائعة ، والأجساد التى لا تنتهى حاجاتها .

مريت — (تنظر حولها فى استغراب) عجيب . . أنتم إذن أغرقتم أرضنا لكى تجعلوها مخزناً للمياه .

عمر — لم نقصد أن نغرقكم ، ولكن لم يكن من هذا بد . . والمياه المنقذة المختزنة ستوزع على الوادى كله . . بما فيه أنتم . . أنتم أنفسكم . . ستفيدون منه بعد رحيلكم .

مريت — لا تقل رحيلنا . . أنت تعرف أننا سنبقى .. نحن نعرف مقرنا جيداً . . فى الأرض وفى السماء .

عمر — (ينظر إليها فى شغف) ليت مقرك معنا .

مريت — (تلتفت إليه وتنظر إليه فاحصة) أتريدنى معك حقاً ؟

عمر — (هامساً) لا أظننى أحسست أنى أريد أحداً معى . . كما أحسست بك .

مريت — (ببساطة) وأنا أيضاً ، ولكن كيف . . كيف يستقر أحدنا مع الآخر .. وهو أكذوبة فى واقعه . . كيف نعبر هذه القرون . . كيف نجتـــاز هذه الهوة من

الزمن . . من منا . . سيقفز إلى الآخر .

عمر — كل ما أعرفه أنك أصبحت حقيقة بالنسبة إلىّ . . أصدق من كل هذه الحقائق التى تحيط بى .

مريت — (تتنهد فى عمق) كيف . . كيف أفر من واقعى . . وأبقى معك . . ماذا تقول عنى . . كيف تفسرنى ، إنى أسير معك وكأنى جريرة ، تحتاج إلى ســـتر . . أو لغز يحتاج إلى تفسير .

(تبدو صفية أخت عمر قادمة من ناحية الأنفاق ومعها مجموعة من الزملاء والزميلات وزوّار السد . . عمر يلمحها فيبدو عليه الارتباك) .

مصطفى — (محذراً) عمر . . صفية قادمة . . هى وثلتها . . خذ حذْرك . . يجب أن نستعد لتقديم التفسيرات .

عمر — أَجل . . أجل . لاينبغى ألا نؤخذ كما أخذنا مع قدرى وجمال .

مصطفى — على أى حال . . الغبى صبحى ليس هنا حتى يثير الفضائح والمشكلات .

عمر — من يدريك . . ربما هبط علينا . . وهو يقود عربة محملة بالصخور من مدخل القناة .

مصطفى — على أية حال يجب أن نتفق على التفسيرات.

مريت — ألم أقل لك . . إنى بت معكم كالجريرة . . أو كاللغز .. أحتاج إلى إخفاء أو تفسير .

عمر — أبداً . . مجرد أن نتفق على شىء نعرفك به . . وننتهى .

مصطفى — اسمها . . انتهينا منه . . مريم فرعون . . اذكريه جيداً .

مريت — أمره سهل . . إنه يكاد يكون اسمى فعلا .

عمر — وأنت ضيفة . . ونحن نشرح لك العمل فى السد .

مريت — مسألة يسيرة .

مصطفى — ولكن ماذا تعمل ؟

مريت — أضرورة أن أعمل شيئاً ؟

مصطفى — أعتقد . . نساؤنا كلهن يعملن الآن .

عمر — تعمل . . تعمل . . فى مصلحة الآثار . . خريجة قسم الآثار . . هذا أسهل شىء . . أظنك تعرفين عن أهلك أكثر مما يعرف أى خريج فى الجامعة . . وأى أستاذ للآثار .

مصطفى — بل أحسن . . من الأب دريتون . . ومن سليم حسن .

عمر ــ ولكن احذرى أن تتحدثى عنهم كأنهم حاضر .

مصطفى ــ أجل ..أجل .. قولى دائماً .. كانوا .. كانوا منذ زمن طويل . . من آلاف السنين . . مفهوم ؟

مريت ــ (تهز رأسها فى خوف) سأحاول .. ولكن أرجو ألا يسألونى كثيراً .

عمر ــ لا تخشى شيئاً . . تحدثى عن المعبد ، وعن جنة الأرض فى حقل القربان الذى يذهبون إليه من طريق القنوات المتفرعة من النيل .

مصطفى ــ وحدثيهم عن الحقل الجميل الذى على الطريق الطيبة .

عمر ــ وعن ثورة الشعب من أجل المطالبة بالتمتع بالآخرة السماوية .

مصطفى ــ أى شىء من هذا الذى قلتِ لنا . . سيجعلك عالمة آثار .

عمر ــ ولكن تذكرى . . منذ زمن سحيق . . منذ آلاف السنين .

مصطفى ــ ولا تكثرى الدهشة . . كفى عن الانبهار . . والاستغراب . . خذى كل شىء فى يسر . . كأنك تعرفينه .. واذكرى أن إنسان هذا العصر . . قد فعل

كل شيء . . حتى الانطلاق فى السماء والدوران حول الأرض .

مريت — (تهز رأسها فى حيرة) لا أصـــدق . . لا أصدق أبداً .

عمر — حدث والله . . صدقيه من أجل خاطرى .

مصطفى — تظاهرى بالتصديق . . حتى لا ننفضح .

عمر — انتهينا .. لا تستغربى شيئاً .. وتحدثى عن أهلك كما تشائين على أنهم أشياء قديمة . . وجدت منذ آلاف السنين .

مصطفى — مفهوم ؟

مريت — سأحاول . . سأبذل كل جهدى .

(تقترب صفية . . وهى تحمل جهاز تسجيل صغيراً ، وفى يدها الميكروفون . . وتبدو فرحتها بلقـاء مصطفى واضحة) .

صفية — هاى . . عمر . . هالو مصطفى . . ماذا تفعلان هنا ؟ .

(مصطفى يقبل عليها فى فرحة ولهفة) .

مصطفى — هذا مقر عملنا . . ماذا تفعلين أنت ؟

صفية — أسجل بعض اللقطات لبرنامج جديد اسمه

« مع العمالقة » . . لقد سجلت بعض لقطات فى النفق مع العمال والمهندسين . . وسأسجل لكم بضع دقائق . . أهناك مانع ؟

مصطفى — أبداً . . أبداً .

صفية — (تنظر إلى مريت مستفسرة) الآنسة ! ؟

عمر — الآنسة . . مريم فرعون . . مهندسة آثار .

صفية — أهلا وسهلا . . آنسة مريم .

عمر — (مقدماً صفية) أختى صفية . . بالإذاعة .

مريت — (تهز رأسها كأنها تفهم) أهلا .

صفية — فرصة جميلة أن نسجل لمهندسة آثار . . رأيها .. فى أهرام القرن العشرين .. يمكنها أن تعطينا مقارنة لطيفة بين . . معجزة الفراعنة ، ومعجزة أحفادهم .

(صفية تقترب بالميكروفون من فم مريت . . مريت لاتعرف ما المقصود بالميكروفون، ولكنها تنظر إليه كأنها تعرف . . ثم تنظر إلى عمر مستعينة لعله يرشدها إلى ما يمكن أن تفعله بالميكروفون الذى اقترب من شفتيها . . عمر يحرك شفتيه لكى يفهمها أن عليها أن تتكلم فتظن مريت أنه يحرك شفتيه علامة الأكل . . ولا تشك أن الميكروفون شىء يؤكل . . وتفتح شفتيها وببساطة تقضم

الميكروفون وتحس بصلابته فتتألم .. ولكنها تكتم ألمها ودهشتها).

(صفية تصيح وتسحب الميكروفون من فم مريت .. مريت تنظر إلى عمر لعله يرشدها إلى ما ارتكبته من خطأ).

صفية — الميكروفون .. ما هذا ؟

عمر — (متضاحكا لصفية) لماذا تصرخين هكذا ؟ .. إن مريم تحب المزاح .

صفية — مزاح .. لدرجة أكل الميكروفون !

مريت — (تبتسم ببساطة) لا تخشى عليه .. فأنا قطعاً لا أستطيع قضمه .

صفية — طبعاً لا تستطيعين .

مصطفى — (محاولا تغطية الموقف ، يغرق فى الضحك) .. دمها خفيف .

صفية — (تنظر إليهم فى غيظ) خفيف جداً .. (لمريت) أنبدأ الحديث ؟

مريت — طبعاً .

عمر — (يتناول الميكروفون) هاتى يا صفية .. سأمسكه لك .. (لمريت) تكلمى يا مريم .. دعى الميكروفون لى ، تكلمى .. فقط .

مريت — (تهز رأسها علامة الفهم) .

صفية — (فى الميكروفون) سيداتى سادتى .. معنا الآن الآنسة مريم فرعون .. خريجة قسم الآثار .. لقد التقينا بها هنا أمام الأنفاق على قاع المجرى الجديد للنهر . . فى الوادى الذى شقه عمالقة السد فى الصخر . . مساء الخير يا آنسة مريم .

مريت — مساء الخير .

صفية — أيمكن أن تحدثينا كدارسة لآثار الفراعنة . . عن إحساسك ، وأنت تقفين أمام هذه المعجزة الجديدة لأحفاد الفراعنة؟

مريت — (تنظر إلى عمر ومصطفى فى شىء من الحيرة . . هل تبدى دهشتها أم لا تبدى) .

عمر — (لا يستطيع التحدث والميكروفون يسجل .. ويهز رأسه مشجعاً إياها على الحديث .)

صفية — طبعاً شىء يبعث على الدهشة . . على الذهول !

مريت — (تنظر إلى عمر بعد أن حذرها من إبداء أى دهشة) .

عمر — (يشجعها على الكلام بهز رأسه) .

مريت ــ هذه أشياء تبــدو غير بشرية . . أشياء لا تصنعها إلا الظواهر الطبيعية .. أو بلغة أخرى لا تصنعها غير الآلهـة . . يعنى أن يشق الجبل ، ويحوّل النهر عن مجراه . . أشياء غير متوقعة ولا مطلوبة من البشر . . قد تأتى بالدعوات والصلوات . . للآلهة الكبيرة . . أما أن يفعلها البشر .. بطريق مباشر .. فهذا شيء لم نعتده من قبل .

صفية ــ الآنسة مريم . . تتحدث بلهجة الفراعنة . . تتحدث عن صلواتهم للآلهة . . واعتقادهم فى أنها قادرة على أن تدك الجبل . . وتحوّل النهر .

مريت ــ ولكنكم . . أعنى ولكننا نفعله الآن بأيدينا .. أبصر الآلة الضخمة تقضم الصخر . . كأنها الغول يقضم قطعة اللحم .. وأرى نفسى أقف فى قاع الوادى الذى شقه الإنسان بآلاته .. وبأيديه .. وأسنانه . . الوادى الذى سيصبح بعد فــترة قاعاً للنهر . . وأحس بفرط قدرة الإنسان . . بقوته . . بعظمته . . إنه أقوى كثيراً من تلك الآلهـة . . التى عبدناها . . (عمر ينظر إليها محذراً فتقول مستدركة) التى عبدناها منذ آلاف السنين .

صفية ــ الظاهر أنك متأثرة جــداً بدراستك . . وبهذه المناسبة وما دامت دراستك للفراعنة تغلب دائماً على

حديثك .. ماذا تتصورين إحساس أحد الفراعنة لو أنه وقف وقفتنا هذه . . ماذا يمكن أن يقول ؟

مصطفى — (يفرك يديه فرحاً) أهلا وسهلا .. انطلقى يا ست مريم .

عمر — (لمصطفى) فرجت .

مريت — لو أن فرعون ، وقف وقفتنا هذه . . .

صفية — أجل .. تصورى .. مجرد تصور .

مريت — (تنظر إلى أعلى للجدران الشاهقة الممتدة فى الصخر) هذا الجبل الذى شق ، والنهر الذى سد ، والمجرى العتيد القديم قدم التاريخ الذى تحول .. بقدرة قادر . والقادر ليس آمون ، ولا آتون ، ولاست ، ولكنه هذا الشعب .. شعبنا القادر على طول الزمن . . بسيط . . هادى . . طيب ، ولكنه قادر . . مسخر . . قادر ، وحر قادر . مازح قادر ، وجاد قادر ، قدرته تكمن ، ولا تمحى .. تضمر ولا تزول .. أعرفه جيداً . . فى صمته ، ودأبه ، وصبره وجلده . . هذه الآلات الخطيرة .. قد أعانته على المعجزة ، ولكنى واثقة .. أنه قادر عليها .. بها وبدونها .. قادر بآلاته .. قادر بمعاوله .. قادر بأظافره . . قادر بأنيابه .

صفية — (بمنتهى الإعجاب) برافو . . برافو آنسة . .

لو أنها ابنة فرعون . . قد تحدثت . . لما تحدثت بأفضل من هذا . . برافو .

عمر — (لمصطفى) فعلا .. لو أنها ابنة فرعون . . لما كانت خيراً من هذه .

صفية — شكراً يا آنسة مريم . سيداتى سادتى . . لنستمر فى جولتنا بين عمالقة السد .

(تغلق جهاز التسجيل وتسحب الميكروفون من يد عمر) .

صفية — متشكرين يا جماعة . . عن إذنكم (لعمر) متى ستعود ؟

عمر — بعد أن تنتهى جولتنا مع مريم .

صفية — لا تتأخر . . سننتظرك على العشاء .

مصطفى — (مازحاً) عمر وحده ؟

صفية — أتحتاج أنت لدعوة ؟ . . . (ضاحكة) أنت صاحب بيت .

(تنصرف صفية ، مصطفى يتابعها بنظره فى إعجاب) .

مصطفى — بنت ممتازة .

عمر — (يفرك يديه مسروراً ويقبل على مريت) . . رائعة . . مدهشة .

مريت — (صامتة) .

عمر — مريت . . لماذا لا تجيبين ؟

مريت — أبداً .

عمر — أضايقك الحديث ؟

مصطفى — لقد كان ممتازاً .

مريت — أستعود إلى البيت ؟

عمر — طبعاً .. بعد أن نوصلك .

مريت — وستتعشى مع أختك ؟

عمر — أجل .. نحن نعيش معاً ، إذا لم أكن مشغولا في ورديتى !

مريت — (فى صوت به رنة يأس) أتعيشان معاً ؟

عمر — طبعاً .

مريت — (فجأة) هيا بنا . . لابد أن أعود .

عمر — سنشاهد مخرج القناة من الناحية الأخرى . . حيث توضع مولدات الطاقة الكهربائية الضخمة التى ستستخرج من السد .

مريت — (فى ضيق) لا . . لابد أن أعود . . لقد قلت لسخمت إنى لن أتأخر وأخشى أن تنام .. ويسأل عنى أبى أو أخى حور . . فلا يستطيع أحد أن يستر غيبتى .

مصطفى — سنوصلك حتى البيت .

مريت — أعرف ذلك . . وستنتظرانني حتى أعطيكما الملابس .

عمر — أية ملابس ؟

مريت — ملابسي هذه . . سأبدل ملابسي . وأقذف لكما بها من النافذة .

عمر — ولكنها ملابسك . . لقـــد اشتريتها لك . . وهي ليست بالشيء الثمين . . اعتبريها هدية .

مريت — ولكنني لم أعد في حاجة إليها .

عمر — (في دهشـــة) كيف ! ؟ أنت لا تستطيعين أن تسيري هنا بملابسك بدون إثارة الناس !

مريت — ومن قال إني سأعود إلى هنا .

مصطفى — ولماذا لا تعودين ؟

مريت — ولمـاذا أعود . . لقد انتهى الغرض الذي أتيت من أجله .

عمر — أي غرض ؟

مريت — أن أثق من صدق قولك ، أثق أنكم لستم غزاة . . ولا متـآمرين . . وأن لكم واقعكم الذي تعيشون فيـــه . .

مصطفى — لعلك قد اطمأننت . . واسترحت .

مريت — (تتنهد فى حيرة) يعنى . . .

مصطفى — ماذا تقصدين بيعنى .. ألم تطمئنى إلينا .

مريت — شىء يبعث على الحيرة . . ليتكم كنتم غزاة ومتآمرين .

عمر — كيف ؟

مريت — لو أنكم كذلك . . لكنتم أقرب إلىّ . . كنتم تصبحون شيئاً كائناً فى حياتى . . وكان يمكن أن يكون هناك أمل فى شىء ما . . ولكنكم بكل هذا الوقع المؤكد الجازم . . قد أصبحتم أسطورة . . وأصبح كل منا بالنسبة للآخر . . مجرد خرافة . . أو وهم .

عمر — لماذا تتحدثين بمثل هذا اليأس . أنت موجودة ، وأنا موجود . . كلانا كائن . . وكلانا يريد أن يبقى مع الآخر .

مريت — أتريد أنت ؟

عمر — ألديك شك ؟

مريت — برغم أنك ...

عمر — إنى ماذا .

مريت — أنك . . . (مترددة) أنك . . . وأختك .

عمر — (فى دهشة) أنى وأختى ماذا ؟

مريت — تعيشان سوياً .

عمر — وماذا فى ذلك ؟

مريت — (فى غضب) كيف تريدنى . . وفى حياتك أخرى ؟

عمر — إنها أختى .

مريت — ولكنك قلت إنكما تعيشان سوياً ؟

عمر — أجل .

مريت — وتريدنى ؟

عمر — أجل .

مريت — تجمع بين ضرتين .

عمر — (ضاحكا) من قال هذا ؟

مريت — ألم تتزوجا بعد ؟

مصطفى — (ضاحكا) لا بعد ولا قبل .

عمر — كيف أتزوج أختى ؟

مريت — وماذا فى ذلك . . أنا مخطوبة لأخى حور .

عمر — (صارخاً) إيه . . أخوك حور . . والعمل ؟

مصطفى — غير معقول . . غير جائز .

مريت — غير جائز .. كيف ؟

مصطفى — لا يصح زواج الإخوة .

مريت — لا يصح لماذا ؟

مصطفى — لأنه . . لأنه . . غير جائز . . مستحيل .

عمر — من أجل هذا .. خشيت من أختى ؟

مريت — أجل .

عمر — على أية حال . . أختى لم تعد بالمشكلة . . المهم أخوك . . ما العمل فيه ؟

مريت — لست أظنه أيضاً مشكلة بالنسبة إلىّ .

عمر — حقاً ؟

مريت — لم أشعر قط . . بلهفة على الزواج منه . . هذا الشيء الذى جذبنى نحوك . . لم يشدنى إليه قط . . كنت أبتهل دائماً أن نبقى كما نحن . . أخاً . . وأختاً .

عمر — إذن لم تعد هناك مشكلة ؟

مصطفى — كيف ؟

عمر — لأننا موجودان . . وكل منا يريد الآخر .

مصطفى — والزمن الذى بينكما ؟

عمر — لا يهم . . جاذبية الإنسان أقوى من كل حائل ، من جنس . . أو لغة . . أو عرف .

مصطفى — أو زمن ؟

عمر — مادمنا موجودين .

مصطفى — كل فى زمن .

عمر — لا يهم .

مصطفى — وأنت يا مريت ؟

مريت — أشعر أنى أريده أكثر من أى شىء آخر . الجاذبية التى تشدنى إليه أقوى من كل حائل .. حتى من حائل الزمن . .

مصطفى — على أحدكما إذن أن يتنازل عن واقعه . . إما أن تأتى أنت إلى هنا لتعيشى بعد عشرات القرون من زمنك ، أو تقفز أنت إلى الوراء آلاف السنين .

عمر — أجل .. واحد منا لابد أن يقفز . . هذه الهوة الزمنية . . إما أن تأتى إلىّ . . أو آتى إليك .

مريت — (تنظر إليه فى شغف) سآتَى أنا .. سآتى .. سآتى . .

(ستار)

الفصل الثالث



لن نكون غرباء

المنظر : (على شرفة الكتراكت المطلة على النيل فى وقت الغروب) .

(مريت وعمر يصعدان الدرج ويسترخيان على مقعدين طويلين مريحين . . بجوار بقية السائحين والزوار الذين جلسوا يتناولون الشاى) .

مريت — (تتنهد تنهيدة طويلة مريحة وهى تنظر إلى الأفق) أشياء كثيرة لم يغيرها الزمن .

عمر — مثل ؟

مريت — الشمس الأرجوانية تتهاوى فى الأفق . . هذا القرص الجمرى .. تختلط فيـــه ألوان الورد والبنفسج والياقوت . . طالما تمنيت أن أتحسسه قبل أن ينساب فى الماء . . والصخور فى عرض النهر . . والنخيـــلات على شاطئيه . . تنعكس صورتها . . فى الماء . . مطرزة بخيوط الأشعة الوردية .

عمر — أتحبين كل هذا يا مريت ؟

مريت — أجل .

عمر — أتجدين فيه دنياك التى ألفتها؟

مريت — أكاد لا أشعر .. بأنى غريبة هنـــا . . لم يتغير شىء من حولى .

عمر — وماذا أيضاً لم يتغير ؟

مريت — نحن.. باطننا.. تركيبنا الآدمى.. مشاعرنا.. آلامنا.. متاعبنا.. حاجاتنا.. أذواقنا.. مطامعنا.. آمالنا.. رغباتنا.

عمر — (يمد يده فيتحسس يدها برفق) أتعرفين مشاعرى ؟

مريت — أحسها.

عمر — وحاجاتى ؟

مريت — ألمحها فى عينيك.

عمر — وآمالى ؟

مريت — لا أظنها تختلف كثيراً عن آمالى.. لست أراك غريباً عنى.. أنت أقرب إلىّ من كل من كان حولى.. تدفئنى مسة يدك وتنشينى نظرة عينيك.. ويمتعنى قربك.. وأتمنى المزيد منه.. أتمناه إلى حد الاندماج فيك.. أتمنى أن نكون شيئاً واحداً.. أنت جزء من عالمى الجميل الرائع.. الثابت على الزمن.. الشمس والنهر.. والصخر فى النهر.. والنخيل على شاطئيه.. وأنت.. أنت.. أجمل ما فيه.. وأقرب ما فيه.

عمر — (يرفع كفها إلى شفتيه فى شبه عبادة) عجيب

هذا الشيء الذى يشد إنساناً إلى آخر . . منذ أن وقع بصرى عليك فى المعبـــد أول مرة . . أحسست بفرحة للقائك وتمنيت لو مسستك . . أو ضممتك إلىّ . . ووجدت نفسى أستمتع بوجودك . . برغم هذا الكلام العجيب الذى سمعته منك . . ولم آبه كثيراً . . إن كان بعقلك مس . . أو كنت تعيشين فعلا منذ آلاف السنين . . انجذابى لك كان أقوى من كل هذا . . لم أعبأ كثيراً . . بمشكلة الزمن . . ولا حاولت أن أفكر فيها . . يكفينى أنك حقيقة . . وأنك موجودة . . آتى إليك .. أم تأتين إلىّ .. أثب إلى زمنك .. أم تثبين إلى زمنى . . سواء لدىّ . . ما دمت أحيا معك . . أحدثك . . وأمسك بيدك .. وأضمك إلى صدرى . . الزمن لم يكن فى نظرى أبداً . . مشكلة . . لن يكون الإنسان . . غريباً . . فى أى زمن . . ما دامت معالم الزمن أقوى على الزمن الباقى من الزمن . . السماء والأرض . . والشمس المشرقة الغاربة .. ونحن .. نحن الناس . . بتركيبنا الآدمى . . بعيوننا ، وأفواهنا . . وقلوبنا . . لن نكون أبداً غرباء . . فى أى عصر .

مريت ــ (تضغط يده بكفها فى حنان) لن أشعر بالغربة أبداً . . وأنت بجوارى . . والنخيل فى الأفق . .

والنهر على مدى البصر .. ما دمت بجوارى أستطيع أن أحتمل كل شيء . . لن أشعر بالحنين إلى الزمن الذى عبرته بآلاف السنين . . أهـــلى . . أمى وأبى وأخى . . وأصدقائى .. ودارى . . ومراتع صباى .. وكل ما ارتبطت به . . والذى تسللت منه فى جنح الليل لألتقى بنفسى فى عالمك الغريب . . كل هذا أستطيع أن أحتمل بعده . . وأنا بجوارك .. (تصمت برهة ثم تقول فجأة فى جزع) ولـكن...

عمر ــ لـكن ماذا ؟

مريت ــ أستبقى بجوارى دائماً ؟

عمر ــ (ينظر إلى عينيها فى شغف) دائماً .

مريت ــ وعملك ؟

عمر ــ عملى ؟ . سأذهب بالطبع إلى العمل . . وبمجرد انتهاء الوردية سأعود إليك .

مريت ــ ولـكنك ستتركنى خلال العمل ؟

عمر ــ أجل .

مريت ــ عدة ساعات ؟

عمر ــ أجل .

مريت ــ وحدى ؟

عمر ــ وحدك ؟ . . طبعاً لا .

مريت — أعنى بدونك !

عمر — أجل . . ولكن لن تكونى وحدك . . ستكونين دائماً محاطة بالأصدقاء والمعارف .

مريت — الأصدقاء ؟ أى أصدقاء ! ؟

عمر — الأصدقاء . . أصـــدقائى . . أخواتهم . . وزوجاتهم . . والأصدقاء الذين ستعرفينهم .

مريت — (فى جزع) إنى أخاف كل هؤلاء .. إنى أصاب بالذعر من كل غريب ألقاه .

عمر — ستألفينهم .

مريت — مستحيل . . إن كل هؤلاء الناس يثيرون رعبى .

عمر — هذا وهم . . الزمن . . كفيل . . بـ . .

مريت — (مقاطعة) زمن ؟ أى زمن . . آلاف السنين . . حتى أصير منهم .

عمر — أبداً . . كما اعتدتنى .

مريت — (مقاطعة) أنا لم أعتدك .. لم أكن فى حاجة إلى أن أعتادك .. لقد وجدت نفسى فجأة وكأنى بعض منك وكأنك بعض منى .

عمر — لقد ظننتنى أحد الغزاة .

مريت – ليتك كنته . . أؤكد لك أن هذا الظن لم يزعجنى كثيراً . . فلقد كان إحساسى بك أغلب من كل شىء ، أتصدق أنى كنت أريد أن أدعو الحرّاس لكى أستبقيك ؟ وعندما عرفت منك تلك الأعاجيب التى عرفتها . . لم يستطع شىء منها أن يقتلع وجودك من نفسى . . المسألة إذن لم تكن مسألة اعتياد . . حتى أحاول أن أعتاد هؤلاء . . إنى أحس بالخوف منهم . . أخشى من كل شىء أقوله . . ومن كل شىء أفعله . . ومن كل شىء أراه .

عمر – اذكرى عالمك الجميل هذا . . اذكرى الشمس والنيل والنخيل .

مريت – ولكن عالمكم ملىء بأشياء أخرى غير هذه .. أشياء مفزعة مثيرة علىّ أن أواجهها فى كل لحظة .

عمر – سأكون معك لأعينك على كل شىء .

مريت – لن تكون معى دائماً . . ولست أنت وحدك فى عالمى . . إنى أشعر بالخوف . . عندما أفكر فيما أوشك أن أواجهه من أشياء غريبة . . وما أوشك أن ألقاه . . من بشر غرباء .

(يقبل مصطفى . . فيصافحهما متهللا) .

مصطفى – كنت أبحث عنكما .

عمر — عدنا من رحلة فى النهر .

مصطفى — (لمريت) وكيف الحال ؟

مريت — (تبتسم فى صمت) .

مصطفى — كيف وجدت عالمنا . . وكيف وجدت أهله ؟

مريت — (تهز رأسها فى حيرة) لم أخض التجربة بعد . . ما زلت أشعر بأنى فى عالمى . . مع أهلى . . ولست أدرى أين موقعى من عالمكم ومن أهله .

مصطفى — ستكونين فى أجمل موقع . . أنت مخلوقة رائعة . . أرجو أن تعتبرينى دائماً كأخيك .

عمر — (فى جزع) لا . . أرجوك . . دعنا من مسألة الأخوة هذه .

مصطفى — (ضاحكا) أقصد أخوية القرن العشرين . . لا أخوة الفراعنة .

مريت — (تتنهد ويبدو عليها الشرود) .

عمر — هاى . . أين ذهبت ؟

مصطفى — وثبة إلى الشاطىء الآخر . . عبر السنين الطويلة .

مريت — (تتنهد) ترى كيف يفتقدوننى هناك . .

ماذا حدث لأبى . . ولأمى ؟

عمر — بدأنا الحنين .

مريت — (تهز رأسها كأنها تطرد مابها من أفكار تقلقها . . (تتنهد وتنظر إليه فى شغف) كل شىء يهون . . بجوارك .

مصطفى — (مفكراً) ولكن . . لماذا لا يأتى أحباؤك معنا . . أبوك وأمك وبقية أسرتك ؟

مريت — (فى يأس) أسرتى الملكية . . كيف تقنعهم بالمجىء . . وكيف يعيشون هنا ؟ . . ومعابدهم وقصورهم . . وأموالهم . . وممتلكاتهم !

عمر — (مؤكداً) ستصادر حتما .

مريت — تصادر ؟ . . ماذا تعنى ؟

عمر — تؤخذ منهم .

مريت — من الذى يأخذها؟

مصطفى — الشعب . . الناس . .

مريت — لماذا ؟

عمر — (ببساطة) لأنهم فى غير حاجة إليها . . والناس فى حاجة إليها . . أليس كذلك ؟ .

مريت — (مفكرة) جائز . . أشياء كثيرة كنا نملكها

وفى غير حاجة إليها . . هذه الأراضى الموقوفة على بيوت الأبدية . . التى تطعم منها أرواحنا . . كانت تحيرنى دائماً . . لا جدال فى أن حاجة الأحياء إليها كانت أكثر إلحاحاً ، من أرواحنا فى السماء .

مصطفى — على أية حال لن تستعصى عليهم الحياة ، إن هناك نظماً موضوعة لتصفية الأموال المصادرة والحراسات تمنح أصحابها قدراً معقولا ، لمعيشتهم .

عمر — (يهز رأسه فى قلق) تظنهم يستطيعون أن يعيشوا بما سيمنحون ؟

مصطفى — عليهم أن يعتادوا حياتهم الجديدة . . فى زمنهم الجديد .

عمر — (فجأة) والضرائب ؟

مصطفى — مالها الضرائب ؟

عمر — بتقديراتها الجزافية سيصبح فرعون مديناً لنا بإذن الله ، بعد كل هذا العمر الطويل من الفرعنة . . سيتحتم عليه أن يدفع بدل أن يأخذ .

مصطفى — يا أخى . . يستطيعون أن يعملوا . . إن هناك فرصة العمل للجميع . . الأب يستطيع أن يفتح مطعماً يقدم فيه المأكولات الفرعونية .

عمر — والأم تستطيع أن تفتح محلا للأزياء.

مريت — (فى دهشة) ما هذا!؟ فرعون ينحدر به الزمن حتى يفتح مطعماً.. والملكة تفتح محل أزياء؟

عمر — لِمَ لا.. الكل يجب أن يعمل.

مريت — أجل يعمل.. ولكن فرعون يعمل.. صاحب مطعم.

عمر — لا ضرورة بالذات لأن يكون صاحب مطعم.. إنه مجرد اقتراح.. يستطيع أن يعمل أى شىء.

مريت — (تهز رأسها فى يأس) إنه لا يستطيع أن يعمل إلا فرعون.

عمر — (فى حيرة) مشكلة.. لست أظنه بمستطيع أن يجد له مثل هذا العمل فى هذا الزمن.

مريت — لقد قلت لى إن حاكمكم من؟

عمر — واحد منا.. من الشعب.. يحكم باسم الشعب من أجل الشعب.

مريت — ليس باسم الآلهة؟

مصطفى — كان زمان.. أما الآن، هنا.. فى زمننا هذا.. فحكم الشعب من أجل الشعب.. حكم ديمقراطى اشتراكى.

مريت — ديمقراطى ؟

عمر — أجل . . الناس ينتخبون حكامهم والحكام يمثلون سلطة الشعب . . إن الشعب . . يحكم نفسه من أجل نفسه .

مريت — (فى حيرة) والاشتراكية ؟

عمر — العدالة الاجتماعية . . تكافؤ الفرص بين الناس . . أن يمنح كل الناس فرصاً متساوية للعلم والعمل والعلاج والأمان . . أن توضع كل الموارد لخدمة كل الناس .

مريت — (فى دهشة) أنتم إذن تفعلون ما لا تفعله الآلهة ؟

مصطفى — كيف . . ؟

مريت — آلهتنا لم تكن اشتراكية قط . . لم تمنحنا فرصاً متكافئة . . حتى قبل أن نبدأ السير فى الحياة .

عمر — آلهتكم فعلت هذا !

مريت — (مؤكدة) وأغلب الظن أن آلهتكم تفعله ، إنها لا تمنحنا تكافؤاً فى القدرة .. فى الموهبة .. فى الذهن .. فى الخلق .. فى الشكل . . توجدنا بفوارق هائلة . . وتطلقنا

فى الحياة بهذه القدرات المتفاوتة .. كيف يمكن التكافؤ .. بعد هذا ؟

مصطفى — وسط هذا الانطلاق يجب أن يضمن للكل، حد أدنى للحياة الآدمية الكريمة . . مهما كانت قدرته . . يجب ألا تدوس الأقدام المنطلقة ، الأقدام المتعثرة .

مريت — أنتم تصلحون إذن باشتراكيتكم . ما أفسدته عدم اشتراكية الآلهة !

عمر — (مأخوذاً) لا .. لا .. يبدو أننا لم نستطع أن نفسر لك ما نقصده جيداً . . نحن نمنح فرصاً متكافئة . . لا يضيع من تكافئها إرث ، أو نفوذ .. أو سلطان.. ولكن يحدد نتاجها . . التفاوت فى القدرة .. الذى قلت إن الآلهة أوجدته . التفاوت فى الموهبة .. فى الذهن .. فى الخلق .. فى أى شىء . . ذلك هو الذى يحدد للإنسان نتاجه فى الحياة .. وبحسبه يمكن أن تتشكل حياته وأن تزداد حصيلته منها .

مصطفى — بشرط ألا تضاف إلى قدرته الغول المسمى رأس المال .

مريت — لا أفهم ما تعنى .

عمر — أعنى أنه يمكن أن ينال دائماً نتيجة قدرته .. من موهبة ذهنية ، أو بدنية أو خلقية ، أو أية موهبة أخرى ،

وأن تتاح لآماله فى الحياة فرصة الانطلاق والتحقق حسبما تيسر له موهبته ، وأن يمنح فرصة الاستمتاع بالحياة حسبما يوفره له جهده وكفايته وخلقه ، وأن ينعم من الحياة بثمرة قدرته هو نفسه على العمل .. لا بثمرة استغلاله لقدرة الغير وجهده .. وأن تكون قيمته دائماً فى تلك القدرة الذاتية . . لا أن تكون قدرته فى مال ينمى مالا ، ويتضخم فى يده باستغلال قدرة الغير لكى يزداد مع الأيام نمواً وجبروتاً ، ويصبح كصاحب غول أو وحش يزيده على الأيام ضراوة ، يطعمه من عرق الناس ليزداد شراهة ، وتصبح قيمته فى قدرة هذا الشىء الخارج عنه .. الطيع له .. الجبار على الغير ، الذى ينميه مجرد وجوده . . وقدرته على الاستغلال والسيطرة .. والذى لا همّ له سوى النمو والتضخم . . على حساب حاجة صاحب الجهد ، ولا يعود بضخامته يمثل له أى نفع سوى إرضاء شهوة السيطرة والاكتناز .

مصطفى ــ هذا المال يا مريت الفائض عن حاجة الإنسان المعتدلة فى الحياة يجب أن يكون أداة لخدمة الناس لا لاستغلالهم .. يجب أن تملكه اليد المأمونة الخيرة ، يد كل الناس ليخدم كل الناس ويؤمن كل الناس ، بدل أن تملكه يد تستغل به جهد الناس ولا تمنحهم سوى الفتات الذى

يبقيهم قادرين على مزيد من الجهد لمزيد من الاستغلال وتمنح اليد المستغلة كل الثمار لتزداد ضراوة وقدرة على مزيد من السيطرة والاستغلال .. أفهمت يا مريت ؟ .

مريت — أكاد أفهم . . ما كان أحق زمنى بما فعلتم . . فهمت الآن . . لماذا سخرتم من ثورة الشعب من أجل الجنة السماوية . . كان أحق بأن يثور من أجل الحق العاجل لا الحقوق الآجلة . . (تهز رأسها مفكرة) لا . . لست أظن أبي يستطيع قبول اشتراكيتكم .. ولا فهمها .

مصطفى — وسيبقى هناك ؟

مريت — (فى أسى) لا مفر من ذلك .

مصطفى — حتى تغرق الأرض؟

مريت — (فى تردد) أواثق أنت أنها ستغرق ؟

عمر — ألم ترى بنفسك كل ما يجرى فى النهر.. ألم ترى السد والأنفاق !

مريت — (فى حزن) أجل . . أجل .

(تبدو صفية قادمة ومعها عايدة
زميلة لها صحفية تحمل معها كاميرا)

عمر — دعونا من هذا الآن .

(ينهضون ويتبادلون السلام)

(يجلس الجميع وتضع صفيـــة « راديو
ترانزستور » أمامها على المنضدة)

صفية — فرصة طيبة أن نسمع البرنامج سوياً .. (تنظر إلى الساعة) بعد دقائق ستبدأ إذاعته (لعمر) ألن تطلب لنا شاياً ؟

عمر — حالا (مشيراً إلى الجرسون) .

الجرسون — أفندم .

عمر — شاى من فضلك .

(صفية تعبث بأصابعها فى الراديو فتصدر
أصوات تفزع مريت وتنظر إلى الراديو فى قلق..
عمر يحاول طمأنتها بنظراته) ،

صفية — عايدة تقوم بعمل ريبورتاج لجريدتها .. وقد زارت اليوم معبداً من المعابد التى تقرر نقلها قبل أن تغرقها المياه .

مريت — (يبدو عليها الاضطراب وتزدرد ريقها) .

عايدة — شىء رائع .. يستحق الإنقاذ .

صفية — الآنسة مريم .. خريجة قسم الآثار.. لا شك أنها تعرف عنها الشىء الكثير .

عايدة — حقاً .. ليتك كنت معى . . كانت هناك أشياء

كثيرة وددت الاستفسار عنها .. المرسى . . المؤدية للنيل كيف كانت تستعمل؟

مريت — (فى شرود) كانت المراكب تحملنا إلى الشاطىء (مستدركة) أعنى تحملهم .. عند الغروب .. ويخرج فرعون وزوجته وابنه وابنتهم للصيد ، ويتجهون إلى البحيرة التى يسبح فيها الأوز ويحلق فوقها الطير . . وتمتلىء بأزهار اللوتس الجميلة . . وكشك الحديقة يبدو من شاطىء البركة .

عايدة — (لمريت) .. وكأنك رأيته؟

مريت — (مرددة) كأنى رأيته .. جميل .. جميل .

(صفية تدير الراديو فيعلو صوت مريت وهى تجيبها على أسئلتها حين سألتها فى النفق) .

صوت مريت — هذه أشياء تبدو غير بشرية .. أشياء لا تصنعها إلا الظواهر الطبيعية .

مريت — (يبدو عليها الذعر ثم تصرخ فزعاً) من . . من؟ . أنا هنا . . روحى قد استقرت هنا .. أنا . . .

(صفية وعايدة تذهلان ثم تغرقان فى الضحك) .

عمر — (يسرع بإغلاق الراديو ويعتذر مرتبكاً) . .

متأسف .. متأسف جداً، مريت تصيبها بعض حالات الضيق نتيجة دراستها الطويلة للآثار .

(مريت تحس أنها ارتكبت خطأ
وتبدو عليها الحيرة والأسف) .

مريت — (متمتمة) آسفة .. آسفة جداً .

(صفية وعايدة تحاولان أن تكتما ضحكاتهما) .

مصطفى — لا .. لا .. بسيطة .. حصل خير .

(يقبل الجرسون بالشاى ويضعه على المنضدة) .

عمر — (لمريت) هذا جهاز راديو للإذاعة ، أتذكرين الآلة التى عضضتها أمس لقد نقلت حديثك إليه .

مريت — (فى يأس) جائز .. جائز جداً .

(صفية تصب الشاى) .

صفية — (لمريت) قطعة أم قطعتين .

مريت — (تبدو عليها الدهشة ولا تعرف ماذا تقصد صفية وتنظر إلى عمر حائرة) .

عمر — (بسرعة) قطعتين .

(صفية تمد يدها بالفنجان إلى مريت
التى تأخذه بخوف) .

عمر — (يهمس لها) لا تخافى .. هذا شاى .. اشربيه .. برفق لأنه ساخن .

(صفية تسمع ما يقوله عمر فيبدو عليها الدهشة)

صفية — (هامسة لعايدة) تصورى ، يقول لها إن هذا شاى .. هذه الفتاة .. مخلوقة عجيبة . . إما أنها مجنونة . . أو ليست من هذه الأرض .

(عايدة تمسك بالكاميرا فى يدها وهى من نوع البولارويد . . تخرج منها الصورة بعد دقيقة من تصويرها)

عايدة — سألتقط لكم صورة وأنتم تحتسون الشاى .

(مريت تنظر إلى آلة التصوير مرتابة)

مصطفى — (هامساً) . . لا تخشى شيئاً . . إنها جهاز لالتقاط الصورة .

مريت — (غير فاهمة) . . صورة ؟ أى صورة . !

عمر — (هامساً) صورتنا نحن . !

مريت — (تهز رأسها فى حيرة) ، جائز .. كل شيء فى عالمكم جائز . . المهم ألا أسمع فيها صوتى . . لأنى أحس أن روحى قد حبست فيها .

(عايدة تلتقط الصورة ، وتعد ١٥ ثم تفتح الكاميرا

وتخرج الصورة وتعطيها لمريت) .

مريت — (صارخة) لا . . لا . . غير معقول . . أنا دائماً أخاف السحر . . صوتى فى هذا الصندوق . . وصورتى فى الصندوق الآخر . . لا . . لا . . مستحيل .

(صفية وعايدة تغرقان فى الضحك)

صفية — غير معقول .

(مريت يبدو عليها الحيرة والخوف واليأس) .

عمر — (ينهر صفية) صفية .. كفى .

صفية — (فى ذهول) عمر .. هذا غير معقول .. أيعنى هذا أنها لم تسمع راديو ولم تر صورة من قبل؟

مصطفى — طبعاً لا .

عمر — قلت لك إن لها حالة خاصة تصيبها أحياناً .

صفية — (كأنها أدركت أن مريت بها خبل) ها . . فهمت . . فهمت (تنظر إليها فى رقة) أنا متأسفة . . (تتناول الصورة) إنها شيء سخيف حقاً .. (فى لوم لعايدة) ما كان لك أن تفعلى هذا .

(صفية وعايدة تنهضان) .

صفية — عن إذنكم .

عمر — مع السلامة . . سأراك فى البيت .

مريت — (منهارة) غير معقول أن أستمر هكذا ..
إنهم ينظرون إلىّ كأن بى خبلا .. وهم على حق .. إنى وراءهم
بآلاف السنين . كل مالديهم وما اعتادوه .. غريب علىّ ..
أنا غريبة بينهم .. إنى لست حتى مجرد طفلة .. وفى كل
يوم .. بل فى كل ساعة .. سأواجه بجديد لا أعرفه .. هذا
الإناء لم أكن أعرف مابه .. كيف يشرب .. لم أعرف حتى
ماذا تعنى بقطعة أو قطعتين ..لو أنى معك وحدك لهان الأمر .
ولكن علىّ أن أعيش فى عالمك الواسع .. علىّ أن
أواجه فى كل خطوة شيئاً مذهلا .. وعلىّ ألا أذهل .. وأن
أبدو كأنى أعرفه .. والا اتهمت بالجنون .. وحتى أعرف
كل هذا يكون العمر قد ضاع .. ليس لى مكان هنا .. بين
هذه العجائب .. إلا أن أكون أنا مجرد أعجوبة .

عمر — (فى يأس) وبعد .. !

مريت — لا بد أن أعود .. إنى خائفة ..إنى أرتعد ..
من كل شىء .. وأخشى إن طال بى الخوف .. أن أخافك
أنت .. وأن أشعر بغربتى معك ، لست أريد هذا أبداً .

عمر — تعودين ؟ ! أتحتملين الفرقة ؟

مريت — لا .. سأموت إن بقيت .. وأموت إن
تركتك .

عمر — والعمل ..؟

مريت — تعال معى .

عمر — آتى معك ؟

مريت — أجل .. لن تجد هناك ما يفزعك .. كل شيء يسير فى هدوء . . لن تخاف من أى شيء . . كل ما هنالك تعرفه .. كل شيء بسيط . . بسيط .

عمر — (يفكر برهة) سآتى . . لأنى لا أستطيع أن أتركك ، ولا أستطيع أن أعذبك هنا .

مصطفى — أحقاً ستذهب ؟

عمر — أجل .

مصطفى — وحدك ؟

عمر — وماذا يمكن أن يكرهك على المجيء ؟

مصطفى — لست أتصور . . كيف أتركك وحدك . . سأذهب معك . . على الأقل لأطمئن عليك .

مريت — (فى فرحة) هيا بنا .

عمر — انتظرى حتى ندبر الأمر .

مريت — سأدبر أنا كل شيء . . لن تجدنى بمثل هذا العجز والحيرة .. سأكون ابنة فرعون . . فرعون الأصيل .. لا صاحب المطعم .. وستكون أنت بجوارى ..

سيدى . . وسيد الأرض . . وسيد الناس . . لن نـكون أبداً غرباء .. هيا بنا .

(يتنهد الثلاثة . . ويدفع عمر الحساب . . ثم يغادرون الشرفة) .

(ستـــار)



الفصل الرابع



ماذا يريد؟

(المنظر : القاعة الكبيرة فى القصر الفرعونى تبدو أمامها البحيرة يسبح بها الأوز وتحلق فوقها الطيور . . وتتناثر فى وسطها الزهور . . القاعة تبدو فسيحة قائمة على الأعمدة الفرعونية ، وتبدو الشرفة فى المواجهة تطل على البحيرة وقد رصت فيها الموائد . . وفى الركن الأيسر البعيد مقعد كبير تحيط به بعض المقاعد الصغيرة ، وفى الركن الأيمن منضدة ومن حولها المقاعد . وفى الجانبين القريبين رصت الأرائك ، وعلى اليسار بدا باب كبير فى الوسط يبدو خلاله بهو صغير قائم فى مدخل القاعة . . وعلى اليمين بابان صغيران أحدهما يفضى إلى بقية حجرات القصر والآخر يفضى إلى مدخل خلفى .

(الأسرة الفرعونية فى اجتماع عائلى . . رع يجلس على المقعد الكبير وبجواره زوجته نفرو وابنه حور وابنته مريت وأمامهم الوزير موس وقائد الجيش مين وكبير الكهان بوتو . . أحد الحراس يقف بالباب الكبير)

رع — كان من العسير علىّ يا مريت أن أقطع برأيى فى الأمر . . خلال ساعات الليل الطويلة استبد بى الأرق

وأنا أحاول أن أصل إلى رأى حاسم حكيم . . يحفظ ملكنا من الدمار . . ويحفظ أرواحنا من الضياع . . واستشرت الآلهة فلم تحسم أمرى .

بوتو ــ الآلهة تثق يا مولاى فى سديد رأيك ونافذ حكمتك .

رع ــ أعلم يا باتو أعلم . . ولكنى كنت أشد حاجة إلى رأيها منى إلى ثقتها . . كنت أحس أنى غارق فى بحر من الضياع ، كنت واثقاً أن الآلهة راضية عن زواج حور بمريت .

حور ــ لاجدال فى هذا يا أبى . . لم تكن الآلهة لتسمح لغريب يتسلل إلى أسرتنا أن يشاركنا الملك ويقاسمنا المجد الأرضى . . والنعيم السماوى .

(بوتو يهز رأسه موافقاً)

مريت ــ لأن يأتى غريب يقاسمنا ملكنا ويصبح واحداً منا . . خير من أن نفقد ملكنا كله . . ونهيم على وجوهنا فى الأرض ونشرد فى السماء .

حور ــ من قال هذا ؟

مريت ــ لاتحاول أن تنكر النبوءة ياحور . سل أبى. عن الجحافل التى تنبئوا بأنها ستجتاح أرضنا . . والمياه التى

ستغرقها . . سله كيف أكدتها الرؤى فى المنام .

رع — أجل . . أجل . . لقـد باتت كالشبح يطاردنى ليل نهار .

(بوتو يهز رأسه موافقاً)

مريت — وموس يعرف جيداً . . إن حالتنا لا تحتمل خوض حرب .

موس — إننا لم نخلص بعد من ثورة الشعب ، من أجل حق الجنة السماوية وشائعات الفيضان والدمار تسرى بينهم.

مين — وجيشنا فى حالة لا تبعث على الطمأنينة .

مريت — ثم تسنح لنا هذه الفرصة الذهبية فلا نحاول أن نقتنصها . . لماذا نصر على انتظار الغزو إذا كنا لا نملك دفعه !؟ ولماذا نصر على خوض حرب نعرف جيداً مصيرنا فيها ! ؟ ولماذا لا نمد أيدينا إلى غصن الزيتون المبسوط لنا !؟ لقد التقيت بهم أكثر من مرة ، ولقد فضلت أن أواجههم مباشرة ، ما دام الأمر يعنينى أنا وعرفت نواياهم جيداً . . واطمأننت إليهم كل الطمأنينة .

نفرو — ولـكن يا حبيبتى . . لماذا يقع عليك وحدك عبء التضحية ؟

مريت — (فى دهشة) تضحية ! ؟ (مستدركة) لست

أظن أحدكم أقل منى قدرة على التضحية . . أو رغبة فيها . . لو أن أحدكم فى موضعى لما تردد لحظة فى أن يفعل مافعلت .

رع — (متنهداً) على أية حال . . لقد حتمت الحكمة علينا القبول .

موس — إنى واثق أن هذه المصاهرة امتداد لنفوذنا فى الشمال . . وأمان لنا من أى غزو يخشى من هناك .

حور — إن هذا امتداد لنفوذ أهل الشمال فى أراضينا . . إن هذا هو الغزو المقنع . . إنى أخشى على حضارتنا من همجيتهم . . و .. تأخرهم .

مريت — (مقاطعة) حضارتنا . . . نخشى عليها من همجيتهم وتأخرهم . . (تغرق فى الضحك) .

حور — ماذا يضحكك ؟

مريت — يضحكنى .. يضحكنى .. لاشىء .. لاشىء . (لنفسها) ليتهم كانوا أقل حضارة . . ليتهم كانوا أكثر همجية وتأخراً . . إذن لهان الأمر . . ولاستقررت بينهم ، وكفيت نفسى كل هذه المتاعب .

حور — مهما كانوا . . أنا لا أوافق . . لا أوافق أبداً على تشتيت أملاكنا .

رع — مفهوم .. وجهة نظرك ... مفهومة تماماً ، ولكن لابد مما ليس منه بد .

نفرو — على أية حال .. المسألة أولا وآخراً مسألة زواج .. مسألة شركة ، وأصحاب الحق فيها .. هما طرفا الشركة ، وما من أحد يستطيع أن يكره أحداً على شركة لا يريدها ، ولمريت أن تقرر ما تريد ، ولنا أن نتمنى لها أسعد الأيام .

حور — أنت دائمـــاً تدللينها .. هذه ليست مسألة شخصية .. مسألة بلد .

نفرو — يا بنى .. إنها مسألة مريت أولا .. لا تدع أنانيتك تعمى بصيرتك (لمريت) ما دمت يا مريت تعتقدين أن هذا الزواج سيسعدك فإننا ندعو الآلهة أن تباركك وتحفظك وترعاك .

مريت — (تضم أمها إلى صدرها) يا أماه .. سأكون دائماً فى حاجة إلى دعواتك الطيبة .

رع — متى تتوقعين حضورهم ؟

مريت — عند ما تسقط الشمس فى الأفق .. سيحضر الأمير ومعه قائد الجيش وكبير الكهان .

رع — (لموس) هل أعددت العدة للاحتفال؟

موس — أجل يا مولاى .. بقدر ما تسمح الظروف .. الموائد مدت فى الخارج والموسيقى والراقصات والمنشدات .

رع — (لبوتو) والعقد .. هل أعددته يا بوتو . ؟

بوتو — جاهز يا مولاى .. كل شىء على أتم استعداد .

نفرو — لترعنا الآلهة ، ولتمنحنا بركاتها .. صل من أجل مريت يا بوتو .. إنها طيبة وتستحق كل خير .

بوتو — سأصلى لها دائماً يا مولاتى . إنى أعرف قدرها لدى الآلهة ولدى الناس جميعاً .

(مريت تنظر إلى الباب فى قلق فتجد سخمت خادمتها تطل فى حذر فتذهب إليها) .

مريت — (هامسة لسخمت) ها . ماذا فعلت . ؟

سخمت — لقيتهم فى المعبد ، وسلمت إليهم الملابس .. كم كان الأمير رائعاً يا مولاتى ، وكان صاحبه معقولا .. أما ثالثهم الذى يبدو كالبغل فغير معقول بالمرة .. لا يمكن يا مولاتى أن يكون كبير كهان أبداً .

مريت — (فى قلق) لماذا ؟

سخمت — لقد قرصنى هنا (تشير إلى مؤخرتها) .

مريت — لا بأس يا سخمت يجب أن نحتمله .

سخمت ــ لو استمر في حركاته . . فلن يكون محتملا بالمـــرة .

مريت ــ هل أكدت عليهم ما سبق أن اتفقنا عليه ؟

سخمت ــ أجل .. أجل .. كل شيء كان مفهوماً لديهم.

مريت ــ وأين هم ؟ .

سخمت ــ إنهم آتون في أعقابي .

(تزداد الحركة في القاعة .. يحضر بعض الكهان وكبار رجال الدولة . . حور يقف جانباً ، وهو يتهامس مع بعض أتباعه ، وعلى رأسهم خنوم رئيس القضاة) .

حور ــ يبدو أنه لم يعد هناك مفر من هذه المصاهرة .

خنوم ــ كيف تم كل هذا بمثل هذه السرعة ؟

حور ــ لأن مريت تريد هذا .

خنوم ــ وكيف استطاعوا التأثير عليهـــا . . متى اتصلوا بها ؟ . وأين ؟ .

حور ــ (يهز كتفيه في حيرة) وكيف أدرى .. إنها وحدها التي دبرت الأمر .. قالت إنها اجتمعت بهم مرة في المعبد ، ومرة أخرى ذهبت إليهم في الضفة الغربية .

خنوم ــ هذا أمر عجيب .

حور — إن فى المسألة سراً خطيراً . . إما أن تكون مريت مخدوعة .

خنوم — أو . .

حور — متآمرة .

خنوم — على أية حال .. بعضاً من الصبر وسيتكشف كل شيء .

حور — أجل . . لابد أن أعرف الحقيقة . إن ما حدث شيء أشبه بالسحر .

خنوم — كيف ؟

حور — لقد كانت راضية تماماً عن زواجنا .. كان كل شيء مقرراً .. وفجأة .. (يهز رأسه فى حيرة) .

خنوم — ماذا حدث ؟

حور — تبدلت تماماً .. كانت تبدو كالشاردة . . وكثر اختفاؤها . . ثم أقبلت علينا فجأة بهذا التدبير الجديد مصرة عليه فى ثقة وإيمان .

خنوم — صه . . أسمع بالباب ضجة . . لا بد أنهم قد أقبلوا .

مريت — (يبدو عليها الاضطراب . . تتجه نحو الباب ويقف الجميع ، وقد بدت على وجوههم اللهفة مشرئبين

بأعناقهم إلى الباب الكبير) .

الحارس — (صائحاً) . . أمير الشمال .

(يدخل عمر ، وقد ارتدى ملابس فرعونية ووراءه مصطفى وصبحى يرتدى أولهما ملابس قائد الجيش والثانى ملابس كبير الكهان) .

(مريت تتقدم لتحيتهم والقيام بواجب تقديمهم إلى فرعون وأسرته وحاشيته) .

مريت — الأمير محب أمير الشمال .

(ينحنى عمر تحية للحاضرين ويتقدم لمصافحة فرعون) .

مريت — (تقدم مصطفى وصبحى) القائد أزيرو قائد جيش الشمال . . . السيد سمنكرع كبير كهان الشمال .

(ينحنيان ثم يتخذان مكانهما وراء عمر) .

رع — أهلا وسهلا . . مرحباً بكم فى بلدنا . . لقد حدثتنا مريت عن نواياكم الطيبة نحونا .

عمر — طيبة دائماً . . لقد كنا دائماً فخورين بآثاركم . . أعنى بأعمالكم الرائعة ، بحضارتكم ، وتقدمكم ، إنها تثير العجب والدهشة فى أيامنا هذه .

رع — (فى دهشة) أيامكم . . (ضاحكا) لعلنا لم نهرم كثيراً !

عمر — أبداً .. أبداً .. ستبقون دائماً فى أوج شبابكم .. ومجدكم .

رع — (فى سخرية) لعلكم لم تسبقونا كثيراً فى تقدمكم . . وحضارتكم .

عمر — أنتم الأصل دائماً .. مهما فعلنا .. إنكم الجذور العميقة المتشعبة فى باطن الزمن .

رع — على أية حال . . إنى سعيد بأن تقوم بيننا رابطة من المودة والمحبة والقرب . . إن هذا يمنحنا القوة . . ويقضى على الشائعات التى لا تفتأ ، تقض مضاجعنا وتسبب لنا القلق . . والتى تثير بيننا المخاوف والشكوك .

عمر — ليس هناك أبداً ما يبعث على المخاوف والشكوك .

حور — أما كانت هناك نوايا غزو ؟

عمر — غزو ؟ . . لا . . مطلقاً .

حور — لنسأل السيد أزيرو قائد الجيش . . ألم يحشد جنوده فى الضفة الغربية .

مصطفى — (ينظر شارداً غير مدرك أنه المقصود بالحديث) .

صبحى — (يدفعه بمرفقه هامساً) أجب .. ياباشمهندس .. أنت أزبرو قائد الجيش . . هل حشدت جنوداً فى الضفة الغربية ؟

مصطفى — أبداً . . أبداً . . ليس هناك جنود سوى البوليس الحربى والشئون العامة .

حور — يعنى هناك جنود .. يعنى هناك احتمال .. قتال .

عمر — قتال !! لا . . لا . . إنهم للأعمال التنظيمية فقط . . أليس كذلك يا أزبرو ؟

مصطفى — طبعاً . . طبعاً .

حور — وآلهتكم ألا تنوى إغراق أراضينا بالمياه . . يا كبير الكهان ؟

مصطفى — (يدفع صبحى بمرفقه) أجب . . يا سمنكرع . . أنت كبير الكهان . هل ستغرق أراضيهم ؟

صبحى — (هامساً) الشهادة لله . . ستغرق .

حور — لماذا لا تجيب يا سمنكرع ؟

صبحى — (لنفسه) سمنكرع . . . اسم غير معقول ، ولكن ما علينا . . . (لحور) تسأل عما إذا كانت الأرض ستغرق ؟

حور — أجل .

صبحى — (فى لهجة ممـــدودة) الله رحيم بعباده . . وجعلنا من المـاء كل شىء حى . . نغرق شبراً . . ونزرع عشرة .

حور — يعنى ستغرق آلهتـكم الأرض ؟

(تحدث ضجة بين الحاضرين وتسود موجة تذمر) .

(مريت تنظر إلى عمر نظرة توسل . . عمر يتلفت إلى صبحى فى غيظ) .

عمر — السيد سمنكرع لا يقصد أبداً أن الأرض ستغرق ، إنه يؤكد أن آلهتنا تباركـكم جميعاً ، وأنها تدفع عنـكم الضر وتهبكم الخير . . أليس كذلك يا سمنـكرع ؟

مصطفى — (يزغد صبحى) انطق يا غبى .

صبحى — طبعاً . . طبعاً .

(يحدث هرج ويتشاغل رع بالحديث مع عمر) .

صبحى — (هامساً لمصطفى) متى سننتهى من كل هذا ؟ .

مصطفى — بعد كتابة العقد .

صبحى — أهناك عقد ؟

مصطفى — أجل .. سخمت أنبأتنى بهذا .

صبحى — عقد واحد !

مصطفى — ماذا تعنى ؟

صبحى — أعنى أسيتزوج الباشمهندس وحده ؟
مصطفى — طبعاً .
صبحى — كنت أظننا سنتزوج كانا .
مصطفى — (فى دهشة) ألست متزوجاً ؟ .
صبحى — واحدة فقط .. والست سخامة هذه تعجبنى ..
لحمها طرى . . وجسدها يملأ الحضن . . قل لمريت إنى أريد
زواجها .
مصطفى — ليس هذا وقته يا صبحى .
صبحى — لماذا ؟ . . بدل العقد . . . نجعله عقدين .
مصطفى — أنت كبير كهان .
صبحى — وماذا فى ذلك . ؟
مصطفى — وهى وصيفة .
صبحى — يعنى إيه وصيفة . ؟
مصطفى — خادمة .
صبحى — ليـكن .. أنا خادم بيت الله .
(رع يحاول إسكات الضجة) .
رع — صمتاً .. لقد أكد لنا الأمير محب أنه ليس فى
نيتهم غزو بلادنا ، ولا إغراق أراضينا .. وهذا وعد كاف
لا ضرورة لـكل هذه الضجة .

(نفرو تنهض من مقعدها وتقترب من عمر ومريت) .

نفرو — يا ولدى . . أهم عندى . . . من أن بلدك لن تغزو بلدنا . . وقومك لن يغرقوا أراضينا . . هل تحب مريت ؟

عمر — (فى حرارة) أجل .

نفرو — أتشعر بالسعادة وأنت بجوارها ؟

عمر — لا أعرف السعادة إلا بجوارها .

نفرو — أتفكر فيها إذا غابت عنك ؟

عمر — لم يعد ذهنى يستطيع الخلاص منها .

نفرو — وسعيد أنت بهذا ؟

عمر — لم تعد المسألة بالنسبة لى سعادة أو شقاء . . لقد أصبحت ضرورة لازمة .. لزوم كل مقومات الحياة . . لزوم الماء والهواء .

نفرو — (لمريت) ، وأنت يا مريت ؟

مريت — (هامسة) بت شراً منه .

نفرو — (لنفسها) بعد كل هذا لم تعد هناك أى مشكلة.

عمر — مشكلة ! ؟ . . لو تدرين ! ! الزمن نفسه لم يكن مشكلة .

نفرو — هيا يا رع . . مر الكهان أن يبدءوا

إجراءاتهم . . ولتباركنا الآلهة .

بوتو — أنا جاهز يا مولاى .

رع ـــ ناد الكهان .

(رع يخرج إلى الشرفة وينادى) .

رع — توت . . نحت . . هاتوا أوراقكم .

(تدخل مجموعة من الكهان ويجلسون فى ركن القاعة ، ويأخذون فى الكتابة) .

رع — (لموس) لنبدأ الاحتفالات ياموس .

(موس يشير لأحد معاونيه) .

موس ـــ لتبدأ الرقصات .. وليقدم النبيذ والأطعمة .

(يخرج معاونه لإعطاء الأوامر ببدء الاحتفالات) .

(بوتو يتقدم من الكهان ويقف فى وسطهم ثم يتناول الورقة التى كتب عليها العقد ويأخذ فى القراءة) .

بوتو ـــ يا أمير الشمال . . يا ابن الفراعنة . . اتل معى الوثاق المقدس الذى سيربطك بزوجتك ابنة رع . . سليلة الآلهة . . أجاهز أنت ؟ .

عمر ـــ أجل .

بوتو ـــ يا مريت يابنت رع .

(عمر يردد كل فقرة من فقرات العقد) .

عمر — يا مريت يابنت رع .

بوتو — لقد اتخذتك زوجة [1] . . وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه .

عمر — لقد اتخذتك زوجة ، وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه .

بوتو — ولن يكون فى مقدورى أن أسلب منهم أى شيء مطلقاً لأعطيه إلى أحد من أبنائى أو إلى أى شخص آخر فى الدنيا .

عمر — ولن يكون فى مقدورى أن أسلب منهم أى شيء مطلقاً لأعطيه إلى أحد من أبنائى أو إلى أى شخص آخر فى الدنيا .

بوتو — (يجد بعض الفقرات غير واضحة فيقدمها إلى مساعده) ، أصلح هذا .

مصطفى — (لصبحى) . . أما زلت تصر على الزواج ؟

صبحى — ولِمَ لا ؟

مصطفى — وتحرم أولادك ؟

---

(١) عقد الزواج مأخوذ من نص عقد زواج يرجع تاريخه إلى عام ٢٣١ ق . م . . أبرم بين أحوتب وناحاتر (وهو محفوظ فى المتحف المصرى بالقاهرة) .

صبحى — من أى شيء .. ماذا تأخذ الريح من البلاطة يا باشمهندس .. دعنا .. نتمتع .

(صبحى يقترب من سخمت .. ثم يرفع يده ويضعها على كتفها ويتحسسها كأنه يمنحها البركة) .

صبحى (لسخمت) باسم الله ماشاء الله .

مصطفى — احتشم يا صبحى ، أنت كبير كهان .

صبحى — (مستمراً فى التحسيس) الله جميل يحب الجمال .

بوتو — (مستمراً فى تلاوة العقد بعد أن يتناوله من مساعده الذى أصلحه) .. سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام .

عمر — (فى دهشة يتساءل) نبيذ وفضة وزيت !

مريت — (تشير إليه برأسها كى يستمر فى الترديد) .

عمر — سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام .

صبحى — نبيذ !؟ (متحسساً سخمت) تشربين نبيذ ياسخمت .. وتأكلين فضة وزيتاً .. (صائحاً كأنه اكتشف غلطة) تقصد فولا وزيتاً يا سيدنا .

بوتو — (فى دهشة) ماذا ياسيدى ؟

صبحى ــ تقصد .. فول .. وزيت .

بوتو ــ (فى إصرار) فضة وزيت .

صبحى ــ كيف تأكل الفضة والزيت . . أنا لا أوافق إلا على فول وزيت ، ويمكن إضافة الليمون . . يكون أطعم .

بوتو ــ (فى إصرار) فضة وزيت .

صبحى ــ ولكن . . .

مصطفى ــ (يهزه بمرفقه) يا صبحى .

صبحى ــ فضة وزيت .. ماذا تفعل بالفضة والزيت ؟

عمر ــ تشترى بالفضة فول . . وتأكله بالزيت .

صبحى ــ آه .. فهمت .. (لبوتو) لماذا لا تفهمنى هذا ؟

بوتو ــ (يهز رأسه فى أسف ويستمر فى قراءة العقد) ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه لك شهرياً وسنوياً وسأعطيه إليك أينما أردت .

عمر ــ ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهرياً وسنوياً وسأعطيه إليك أينما أردت .

بوتو ــ وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة ،وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة.

عمر ــ وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من

الفضة . . وإذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة .

(بوتو يكمل إجراءات الزواج)

صبحى — (متحسساً سخمت يحسب الحسبة فى بطء) الطرد بخمسين والضرة بمائة .. طبعاً أطردك أرخص . . ثم أتزوج من جديد . . لاداعى أبداً لمسألة الضرة .

مصطفى — ياغبي . . إن لها ضرة جاهزة . . عليك أن تدفع المائة . . بمجرد الزواج .

صبحى — غير معقول . . (يتحسس سخمت) مائة . . كثير .

سخمت — كثير . . ماذا تعنى ؟

صبحى — كثير . . كل شىء فيك كثير . . لحمك . . وشحمك .

سخمت — كأنك أنت القليل .. وأنت تبدو كالعجل . . يا سيدى .

صبحى — (غاضباً) عجل ؟ !

مصطفى — لاتغضب هكذا . . أنت لاتعرف قيمة العجل عندهم ..إنه من بين الآلهة .

صبحى — (يعاود تحسيسها) مائة . . لا .. يفتح الله .

مصطفى — عدلت .

صبحى — ليس بالضبط .. سأعاملها ككبير الكهان .. أمنحها البركات . . مجاناً . . (لسخمت) تعالى يا سخامة البرك .. لاداعى لمسألة الزواج هذه . سنمنحك البركات . . فقط . . بركاتك ياست سخمت .

(بوتو مستمر فى بقية إجراءات الزواج .. ويتمتم بعض أقوال غير مفهومة ويلوح بيديه كأنه يطرد الشياطين . . ثم يعطى العقد لبعض الحاضرين لإمضائه كشهود ومن بينهم صبحى ومصطفى) .

(بوتو يناول عقد الزواج لعمر ويربت كتفه) .

بوتو — (لمريت) تناولى عقد الزواج من يد زوجك كى يعمل بكل كلمة فيه .. إنه موافق على ذلك .

(الموسيقى تتعالى والراقصات يرقصن على شاطىء البحيرة خارج الشرفة وأكواب النبيذ تقدم للحاضرين) .

نفرو — (لعمر) أشعر أنى قريرة العين . . لأن ابنتى سيرعاها من يحبها . . كن لها . . كما أكون أنا . . وكما يكون أبوها .

عمر — سأكون لها كل شىء . . فى كل مكان . . وفى كل زمان .

مريت — (مؤكدة) فى كل زمان ؟

عمر — أجل يا مريت . . أنت تعلمين . . أن الزمن لم يكن أبداً بالنسبة لنا مشكلة .

مريت — (تسير معه لتقف بجوار الشرفة بعد أن يأخذ الحاضرون فى الخروج إلى الحديقة وينهمكون فى الطعام والشراب والرقص . ويختفى فرعون وزوجته داخل القصر) لن تضيق بزمنى .

عمر — مادمت فيه ، فلن أضيق به .

مريت — أتحتمل أن يسلب منك حضارة كل هذه القرون . . كل تجربة الإنسان طوال تلك السنين . كل نتاج ذهنه . . وجهده . . تتنازل عنه بمثل هذه السهولة !

عمر — كل تجاربه . . وجهوده ، وإنتاجه . . قد بذله من أجل أن يشعر بما أحس به بجوارك . أن يشعر بحلاوة الحياة ، بنعمة الاستقرار ، والراحة . . لكى يوفر لنفسه السعادة والطمأنينة والأمن .

مريت — هل . . وفره ؟

عمر — (يتنهد) لا أعلم يامريت ، لا أعلم . . بعد كل الذى فعله الإنسان من معجزات . . بعد كل هذه الأعاجيب التى صنعها منذ البخار إلى الذرة . . بعد كل وسائل الراحة

التى ابتـكرها هل استراح ؟ . هل حصل على قدر أكبر ممـا تحصلون عليه أنتم ؟

مريت — (فى لهفة) هل حصل ؟

عمر — أشك يا مريت .

مريت — لماذا ؟

عمر — كل مايحصل عليه فى الحياة . . يحدده تركيبه البشرى ، وتركيبه يا مريت لم يتغـير . . تركيبه الجسمانى والعاطفى ، والذهنى ، نفس الانفعالات ونفس المشاعر ، ونفس الآلام ، والمتاعب . . لم يستطع برغم كل ماابتـكر أن يزيد من قدرة معدته على استيعاب المزيد من الطعـام . . لـكى يستمتع بالمزيد ممـا ابتـكر من أطعمة . . لم يستطع أن يمنح لنفسه قدرة على الاستمتاع بالجنس أكثر مما لديكم من قدرة . . لم يستطع أن يغير كثيراً . . أو حتى قليلا من تركيبه البشرى . . نفس النسيج الواهن والخلايا المستهلـكة التى تدمرها جرثومة وتحطمها لفحة هواء وتمضغها الأيام حتى تتـآكل مع الزمن . لم يستطع أن يخفف من أحقاده . من مطامعه . . من أنانيته . لم يستطع أن يلغى انفعال الحب أو الغيرة . . أو الحسد ، وبات كل ماطوره خارج نفسه ، لايجد مقابلا له داخل نفسه ، وأصبح من أجل ذلك محدود

القيمة . . ما قيمة أن أبدل لك كوب العسل . . بحراً . .
إذا كانت قدرتك لا تحتمل أكثر من الكوب . إن الفارق
بين اليد الخالية ، واليد التى تحمل السكين . . واليد التى تحمل
المدفع . . أو القنبلة الذرية — إذا كان الانفعال الذى
يحركها هو الشر والحقد — لن يكون أكثر من الفارق بين
الخنق والذبح ، وغيرها من وسائل الفتك . . لم نسترح
يا مريت ، لأن شيئاً فى تركيبنا . . يأبى علينا الراحة . عندما
أفكر فى السنين الطوال التى بيننا ، وأسأل نفسى ماذا فعلت
بنا .. لا أستطيع أن أقنع نفسى بأنها فعلت شيئاً عميقاً . .
لم تمنحنا الشىء الحقيقى الذى نريده . . بل لعلها .. سلبت منه
بعضه .

مريت — ما هذا الشىء الذى تقصده ؟

عمر — نعمة الراحة . . نعمة الاكتفاء . . نعمة
الأمان من الخوف . . الخوف من أنفسنا . . وممن حولنا ،
ومما حولنا . . بكل هذه المخترعات ، والمبتكرات التى عملها
الإنسان من أجل الإنسان ، لم يحاول واحد من أصحابها أن
يسأل نفسه . . ماذا يريد الإنسان ، وكيف يناله ؟

مريت — وهل سألت أنت نفسك ؟

عمر — ماذا يريد . . وكيف ؟ . . ماذا يريد . . هى

المشكلة . إنها مشكلة معقدة . . لأن تركيبه معقد . . لو أن مايريده الإنسان فى بساطة ما يريده الحيوان . . أكل وجنس ونوم لأصبح حلها واضحاً ، وأضحى عليه أن يعمل لتدبير احتياجاته الواضحة ، ولكنه يبدأ بهذا . . ثم تنمو مطالبه وتتعقد وتتشابك وتتعارض ، ويحركها فى اتجاهاتها المختلفة الخليط العجيب الذى يتركب منه الإنسان . . خليط الحنان والقسوة والحب والبغض والألفة والنفور والخير والشر . . والإيمان والكفر . . والاستسلام والثورة ، والشجاعة والجبن . والغباء والذكاء ، والبله والمكر .. هذا الخليط العجيب الذى يوجد كله فى المخلوق الواحد .

مريت — كأنى بك تحس يأساً من الزمن أن يفعل بالإنسان شيئاً ما .

عمر — بعد كل هذا الزمن الذى بيننا . . عند ما أشعر فى بعض الليالى أن خير ماأستطيع الحصول عليه هو إغفاءة فى الفراش . . عقب يوم شاق . . عندما أحس أن أمتع ما يمكن أن يمنحنى زمنى هو إغماضة عين . . لا أظننى آمل فى الزمن أن يفعل جديداً فى الإنسان . . أو فى الإنسان أن يأتى لنفسه بجديد على الزمن .

مريت — أتقول هذا . . بعد كل ما رأيت فى زمنك

من معجزات ؟

عمر — معجزات . . يعادل خيرها شرها . . لم ترى أنت . . كيف استعمل الإنسان معجزاته . . فى تأكيد كل مالا يتمناه . . وتحقيق كل ما لا يصبو إليه . . تأكيد القلق والخوف . . وتحقيق الدمار . . كل مايصنعه من معجزات ، يسلمه ببساطة إلى يد الفتك . . اليد التى تحركها الأحقاد ، ويتساوى لدينا أن تكون فارغة لتخنق . . أو محملة بقنبلة ذرية لتفتك . . ولعلها تكون السخرية . . إذا قلت لك إن أقصى ما يفعله الإنسان هو تطوير وسائل الفتك لكى تلائم نمو البشرية وتكون أقدر على الفتك بها .

مريت — ووسائل الراحة . . والاستمتاع ؟

عمر — لست أدرى . . ماذا منحتنا حقيقة . . أو لعل طبيعتنا الإنسانية التى يفقدها تعود الشىء متعته . . هى التى أنستنا قيمتها .. ولكن الشىء الذى لايمكن إنكاره أن باطننا وأحاسيسنا النابعة منه وانفعالاتنا المتبادلة وعلاقة الإنسان بالإنسان هى السبب الحقيقى لسعادتنا أو شقائنا .

مريت — (تتنهد) حديثك يطمئننى على مصيرنا معاً .. وإن كان لايطمئن على مصير الإنسان فى الدنيا .

عمر — لايقلقك الإنسان .. فلست أظن أن هذا الذى

قلته لك إلا ملائماً لتركيبه وطبيعته .. حيـــاته صراع .. كما قلت لك.. مع نفسه .. ومع من حوله .. ومع ماحوله .. يبدأ منذ أن يولد ولا يفرغ حتى يموت .

(مصطفى مقبلا عليهما)

مصطفى — (ينظر فى ســـاعته خلسة) أظن الوقت قد حان .

مريت — حان لأى شىء ؟

مصطفى — للعودة .

مريت — العودة إلى أين؟

مصطفى — موعد الوردية .. لم يبق عليه سوى ...

عمر — (مقاطعاً) وردية .. أى وردية ؟

مصطفى — وردية العمل .

عمر — أى عمل؟

مصطفى — العمل فى الموقع .

عمر — أى موقع ؟

مصطفى — موقع السد .

عمر — أتعنى .. أنك تنوى العودة ؟

مصطفى — طبعاً .

عمر — كيف؟ لقد انتهينا من هناك .. لقد أصبحنا هنا ،

ارتبطنا بهذا الزمن .

مصطفى — أنا . . أنا . . لم أرتبط . . ليس هنـــاك ما يربطنى .

عمر — ولـكنك قلت إنك آت معى .

مصطفى — قلت إنى آت للاطمئنان عليك .

(نفرو تنادى مريت فتذهب إليها

عمر — ولـكن .. كيف تتركنى وحدى ؟

مصطفى — وحدك ! ؟ أنت عريس . . والمفروض أن تبقى مع زوجتك وأهل زوجتك .. ماذا يحشرنى أنا وسطكم ؟

عمر — ولـكنك أنت قائد جيش .

مصطفى — (يقهقه) أصدقت أنى قائد جيشك ؟

عمر — أنا أتحدث بواقعى . . أنا أعيش فى زمنى الجديد . . أعنى فى زمنى الغابر .

مصطفى — ولـكنى لست كذلك.. أنا المهندس مصطفى عبد الرازق فى شركة المقاولين العرب .. أعمل فى السد العالى بالجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٦٣ ، ولست بالتأكيد أو زيرو قائد جيش الشمال .

عمر — أنت إذن ستخذلنى ؟

مصطفى — كيف أخذلك ؟ إنى أتركك فى كل هذا المجد

والسعادة .. تتزوج ابنة فرعون . . فتاة شهية كالتفاحة الناضجة .. وتتهمنى بأنى أخذلك . (منادياً لصبحى) يا صبحى (مستدركاً) ياسمنكرع (يقبل صبحى وقد بدا عليه السكر)

(عمر يتجه إلى مريت ويتشاغل معها)

صبحى — ماذا تريد يا أوزيرو ؟

مصطفى – نهارك أسود . . لقد سكرت .

صبحى — أنا مبسوط فقط يا أوزيرو .. الست سخمت ممتعة جداً . . قرصتها فى ساقها . . كأنى أغرس أصابعى فى طبق بالوظة . . تعال خذ لك قرصة .

مصطفى — اسمع يا صبحى . . كفى عبثاً .

صبحى — لست صبحى .. أنا سمنكرع كبير الكهان .

مصطفى — (يهزه من ذراعه) . . اسمع .. هنا .. أنت صبحى السائق .

صبحى — أنا سمنكرع .

مصطفى — سمنكرع .. سمنكرع.. هيا بنا يا سمنكرع .

صبحى — إلى أين ؟

مصطفى — إلى الموقع .

صبحى — موقع ! ؟

مصطفى — أجل موعد الوردية قد حل .

صبحي ـ أنا سمنكرع .. أنا ذاهب إلى سخمت .. لا بد أن أمنحها البركات . (هامساً) بيني وبينك ، ستبيت معي .. فلقد أفهمتها أن البركات تحتاج لوقت طويل .

مصطفى ـ اسمع يا صبحي . . أفق لنفسك . . سنعود الآن إلى الموقع .

صبحي ـ لا .. لا .. لا .. أنا لن أعود .. لن أترك سخمت ، وأذهب إلى نبوية أبداً.

مصطفى ـ إذن اذهب بي .. وعد . . أوصلني فقط . . مسافة الطريق .

صبحي ـ وأعود ثانية ؟

مصطفى ـ أجل .

صبحي ـ ومن يضمن لى ؟

مصطفى ـ أعدك .

صبحي ـ (متردداً) تترك كل هذا العز . . والشرب والأكل .

مصطفى ـ نصف ساعة فقط .. هيا .

(عمر عائداً)

مصطفى ـ (لعمر) عن إذنك .. تصبح على خير .

عمر ـ أمصر على العودة ؟

مصطفى — طبعاً .

عمر — هكذا ببساطة .

مصطفى — ماذا تعنى ببساطة ؟

عمر — تذهب وكأننا سنلتقى فى الغد !

مصطفى — فعلا .

عمر — كيف ؟

مصطفى — لعل مركزك الجديد ، فى أسرتك الفرعونية الجديدة لا يجعلك تترفع علىّ .

عمر — ليست مسألة ترفع .

مصطفى — مسألة ماذا إذن ؟

عمر — هل ستضمن أننا سنستطيع اللقاء .

مصطفى — ولِمَ لا ؟ !

عمر — لست أدرى . . هل هذا الفارق الزمنى القائم بيننا .. هذا العصر الذى سأندمج فيه .

مصطفى — لا تكن سخيفاً . . سآتى لأراك هنا .

عمر — من يدرى .

(يبدو حور وخنوم متسللين وراء عمود وينصتان إلى حديثهما)

مصطفى — يدرى ماذا ؟

عمر — هل يمكن أن تجدنى ؟

مصطفى — و لِمَ لا ؟!

عمر — أنت تعرف أن هذه الأرض ستغرق كلها .

مصطفى — (فى شرود) أجل .

عمر — وستغمر المياه كل ما عليها .

مصطفى — أجل .. أجل .

عمر — وكل من عليها .. بما فيهم أنا .

مصطفى — أنت؟

عمر — أجل أنا .. ألست واحداً من هؤلاء الذين يعيشون هنا ؟

مصطفى — ولكن .. لماذا لا ترحلون مع الباقين إلى كوم امبو ؟

عمر — كيف ؟ الأسرة الفرعونية ترحل إلى كوم امبو؟

مصطفى — ماذا ستفعل إذن ؟!

عمر — سنبقى فى المعبد حتى نغرق .

مصطفى — غير معقول .

عمر — بل معقول .. أنت تعرف كيف أكدت لنا مريت أنهم سيستقرون فى المعبد .. وسنذهب إلى الجنة السماوية .

مصطفى — وأنت ؟

عمر — معهم .. إلى حقـــل القربان بين الآلهة الذين ذهبوا إلى أرواحهم .

مصطفى — مستحيل .. غير معقول ، هذا كلام فارغ .

عمر — وستجدنى فى المعبد عندما يرفع ، محنطاً .. وملفوفاً فى الشاش ، فى أحد التوابيت .. بعد أن تغرق الأرض .

(حور وخنوم ينصتان فى اهتمام بعد أن أحضرا بقية الحاشية ومن بينهم موس وبوتو)

حور — أرأيتم بعيونـكم .. أسمعتم بآذانكم .. المؤامرة الدنيئة .. التى توشك أن تودى بنا وتغرق أراضينا !

خنوم — كنت أشعر بهذا .

موس — عجب.. لم يخطر ببالى أن تفعل مريت بنا هذا.

بوتو — لا شك أنهم غرروا بها .

حور — على أية حال لا بد أن نأخذ إجراء سريعاً .. لا بد من القبض عليهم .

موس — لنستأذن أولا من مولانا رع .

حور — أنا مسئول .. سآمر الحرّاس بالقبض عليهما

فوراً . . وإيداعهما السجن .

خنوم — سيحاكمون أمام الجميع . . وسأوقع بهم أشد الجزاء .

حور — أنت قاضي القضـــاة .. وقد سمعت بنفسك اعترافهم .

(حور صائحاً بالحرّاس)

حور — أيها الحرّاس . . اقبضـــوا على هؤلاء . . اودعوهم السجن .

(الحرّاس يقفون مشدوهين برهة ..

حور يصيح بهم)

حور — أنا آمركم .

(الحرّاس يحيطون بالثلاثة ويمسكون بهم)

عمر — ما هذا ؟

حور — لا داعي للإنـكار . . لقد سمعنا اعترافـكم . . سمعنا كلنا تآمركم على إغراق البلاد .

(مريت مقبلة على صوت الضجيج)

مريت — ماذا . . ماذا حدث ؟

حور — اصمتي أنت .. سيأتي دورك بعد .

مريت — ما هذا الذي تقول ؟

حور — اسألى موس .. واسألى خنوم وبوتو كيف اعترف الأشرار بعزمهم على إغراق البلد .

(يهزون كلهم رءوسهم بالموافقة)

مريت — سأذهب إلى أبى . . سأخبره بهذه الوقيعة .. والدس الدنىء .

حور — سيعرف أبوك كل شىء .

حور — (للحرّاس) إلى السجن .

مصطفى — (وهو يجر إلى الخارج) موعد الوردية ياناس .. يا صبحى ، مالى أنا ولكل هذا ؟

صبحى — سخمت . . سخامة البرك . . سآتى إليك . . سأمنحك البركات .. أنا عائد إليك.. لاتخافى .. سأعود حتى لو طلقت نبوية .

عمر — غير معقول . . السجن . . فى هذا الزمن . . لماذا ؟ . نحن لم نغرق أحداً . . الأهالى هاجروا . . والمعابد سترفع .. لقدكنا حريصين على ألا نضيع شيئاً . . حتى مع كل هذا الزمن الذى مر .

حور — قل هذا فى المحاكمة .. سترى أى مصير ينتظركم.

(يسدل الستار)

الفصل الخامس



متى وكيف وأين ؟

(المنظر : حجرة فى السجن .. عمر ومصطفى يجلسان على الأرض فى حالة يأس ، تبـــدو فى المواجهة بضع درجات تؤدى إلى باب كبير به فتحة يطل منها حربو حارس السجن الذى يتحدث مع صبحى الجالس على الدرج بجوار الباب . . على اليسار فى أعلى الجدار تبدو نافذة مستطيلة ضيقة تطل على النيل .)

صبحى ـــ (صائحاً) . . ياسيدنا . . يا باشسجان .

حربو ـــ وبعد . . ما هذا الصياح الذى لا ينتهى . . ماذا تريد ؟

صبحى ـــ سيجارة . . سيجارة يا حربو .. سيجارة . . يا حربابة الـكلب .

حربو ـــ رجل كبير وقبيح . . شايب . . وعايب .

صبحى ـــ لا تؤاخذنى .. حاجة الـكيف تردى.. حقك علىّ . . هات سيجارة .

حربو ـــ قلت لك مـــائة مرة . . لا أعرف ما هى السيجارة .

صبحى ـــ أهذا كلام !! أأنتم .. ناس ! ! أهذا زمن !!

سيجارة . . يا أستاذ . . دخان . . (يرفع يده إلى فمه وينفخ كأنه يدخن) دخان .

حربو — لا . . لا أستطيع أن أسمح بحريق . . ليس من عملي أن أنفذ حكم الإعدام .. أنا سجان فقط .

صبحي — إعدام . . يانهار أسود .

حربو — طبعاً إعدام . . لقد أصدر رئيس القضاه خنوم حكمه على كبيركم بالإعدام .

صبحي — حكم على كبيرنا بالإعدام ، سامع ياباشمهندس . . هذه نتيجة اللعب مع المجانين . . رحنا فى شربة ماء .. تصور هؤلاء المخابيل يفعلونها ويعدموننا .

حربو — ليس كلكم . . كبيركم فقط .

صبحي — وأنا ؟

حربو — سيقطعون أنفك .

صبحي — (يمسك بأنفه فى خوف) ياحفيظ .

مصطفى — (يتحسس أنفه فى صمت)

حربو — لا .. أنت . . سيقطعون أذنيك .

صبحي — هذا ظلم .. ظلم .

حربو — هذا حكم المحكمة .

صبحي — محكمة .. محكمة .. هات سيجارة .

حربو ــ قلت لك نحن لانعرف هذه السيجارة التى تتحدث عنها . . والتى قلبت دماغنا عليها .. بصراخك هذا .

صبحى ــ ماذا تعرفون إذن .. ألديكم . . جوزة ؟

حربو ــ لم نسمع عنها .

صبحى ــ شيشة ؟

حربو ــ ولا هذه .

صبحى ــ ماذا لديكم إذن غير خبز السن الذى تطحنونه على الرحاية . . قل ماذا لديكم فى هذا الزمن النحس . . الذى ساقنا إليه الحظ العكر ؟

مصطفى ــ (يتمتم فى أسى) وياليتنا عجبنا . . رضينا بالهم . . والهم لم يرض بنا .. يعدموننا . . ويقطعون آذاننا وأنوفنا .

عمر ــ (فى يأس) وحتى كلمة وداع .. حرمنا منها .. ليتنى لم أذعن لها ، وماعدت معها . . ليتنى أبقيتها فى زمنى .. كان أقصى ما يصيبها . . خوف يسير .. بعده تتعوّد على كل هذه الأشياء التى تفزعها .. مهما حدث لها هناك . . فى عالمنا الذى ضاقت به وفزعت منـــه ، لم يكن يتعدى الهزؤ بها والسخرية منها .

مصطفى ــ لم يكن يصل أبداً .. إلى حد السجن والإعدام.

صبحى ــ وإعدام حاف .. بلا عقب سيجارة ..
الذى أعلمه عندنا .. إنهم يسألون المحكوم عليه بالإعدام ..
عما يشتهى قبل أن ينفذ فيه الحكم .

حربو ــ (معترضاً) قلت لك إنك غير محكوم عليك بالإعدام .. أنفك فقط هو الذى سيقطع .

صبحى ــ فقط .. (يهز رأسه فى دهشة) ليكن .. هذا الرجل المسكين الذى ستعدمونه .. هات له سيجارة .

حربو ــ (فى ملل) .. مائة مرة قلت لك .. ليس لدينا سجائر .

صبحى ــ لا سجائر .. ولا غير سجائر .. ليس لديكم أى شىء فى هذا الزمن النحس ؟

حربو ــ وماذا لديكم أنتم .. لديكم معابد كهذه ؟ .

صبحى ــ طبعاً .. بمآذن وقباب .

حربو ــ ومقابر كهذه ؟ .

صبحى ــ شىء يقضى .. يلم عظامنا ورممنا .

حربو ــ وتقدم لكم كل هذه القرابين ؟

صبحى ــ شىء على ماقسم .. فطير .. وشريك .. وبلح .

حربو ــ فقط ؟

صبحى ــ طبعاً . . ماذا تريد .. ذبائح ؟

حربو ــ ونبيذ وعطر .

صبحى ــ لا .. لا . . أمواتنا لا تحب الزمرمة . . ولا العياقة ولا العربدة .

حربو ــ ماذا لديكم إذن فى زمنكم الذى تعايرنا به ؟

صبحى ــ لدينا . . لدينا . . عربات . قطارات . . طائرات .

حربو ــ لماذا .. كل هذا ؟ .

صبحى ــ للركوب . . للتنقل . . لكى لا نتعب فى المواصلات .

حربو ــ لابد أنكم مستريحون جداً ؟

صبحى ــ مستريحون ؟ . . (فى تردد) مستريحون فى المواصلات ؟ (محدثاً زميليه) أنحن مستريحون يا باشمهندس فى المواصلات ؟ وأزمة المواصلات . . ويوم الحشر فى الأوتوبيسات ، والعذاب الذى نلقاه من المحصلين والسائقين ، ماذا أقول له ؟

عمر ــ قل له مستريحون طبعاً . . لا داعى للفضائح .

صبحى ــ مستريحون طبعاً . . ليس لدينا أزمة مواصلات .. مثل التى عندكم .

حربو — من قال إن عندنا أزمة مواصلات ؟

صبحى — لديكم أتوبيسات ؟

حربو — لا .

صبحى — ولا عربات ؟

حربو — لا .

صبحى — ولا ترام ؟

حربو — لا .

صبحى — ولا تاكسيات ؟

حربو — لا . . لا . . ليس لدينا شيء من كل هذا الذى تقوله .

صبحى — وليس لديكم أزمة مواصلات . ؟

حربو — قلت لك لا .

صبحى — (سائلا زميليه فى دهشة) الله . . لماذا إذن اخترعنا نحن كل هذه المواصلات ؟

مصطفى — (ضاحكا لنفسه) لكى نحدث بها أزمة مواصـــلات . . (لصبحى) اسمع . . قل له لكى نقرب المسافات البعيدة ؟

حربو — ولماذا تقرّبون المسافات البعيدة ؟

عمر — لكى نوفر الوقت .

حربو — ولماذا توفرون الوقت ؟

صبحى — (فى حيرة) نوفر الوقت . . نوفر الوقت . . (لعمر) أجل يا باشمهندس . . لماذا نوفر الوقت ؟

عمر — لـكى . . لـكى . . تذهب إلى السينما . . وتسمع الراديو وتشاهد التليفزيون .

حربو — ما كل هذا ؟

مصطفى — اختراعات . . تميز عصرنا .

صبحى — ونلعب طاولة . . وكوتشينة .

حربو — لماذا تفعلون كل هذا ؟

مصطفى — لـكى . . لـكى (فى حيرة لعمر) . . أيمكن أن أقول له لـكى نقتل الوقت .

عمر — غير معقول . . سيقول عن زمننا زمن مجانين . . نصف اختراعاتنا لقتل الوقت الذى نوفره بالنصف الآخر . . لا . . لا . . لا تضحك هذا اللئيم علينا . . (لحربو) لأجل أن نتثقف .

حربو — (ببساطة) ولماذا تتثقفون ؟

عمر — (لمصطفى) هذا الغبى لن ينتهى من أسئلته . . إنه يتسلى بنا . . دعك منه .

حربو — (يعاود السؤال) لماذا تتثقفون ؟

مصطفى — لكى . . لكى . . نزيل غشاوة الجهل عن نفوسنا . . لكى نعرف المزيد . . من عالمنا . . الذى نعيش فيه . . لنطوره إلى أفضل .

حربو — لكى تقوموا بالمزيد من الاختراعات . . التى تسبب لكم المزيد من المتاعب . . أو تقتل لكم المزيد من الوقت الذى توفرونه بها . . أو المزيد من النسل الذى تنجبونه . . قل . . ماذا يميز زمنكم . . عن زمننا الذى ترمونه بالنحس ؟

مصطفى — ماذا أقول له . . هذا الغبى الذى يحاول أن يقارن زماننا بزمانه .

عمر — قل له إننا سنصعد إلى القمر .

حربو — قمر !؟ أنتم تصعدون إلى القمر . . ماذا ستفعلون هناك ؟

صبحى — أجل يا باشمهندس .. حقيقة . . ماذا سنفعل هناك ؟

عمر — سنكتشفه .

حربو — وبعد ؟

عمر — لننعم بخيراته .

حربو — لا أظن الأرض قد ضاقت بكم .

مصطفى — بدأت تضيق .

حربو — إذن ستنتقلون إليه ؟

عمر — أجل .

حربو — بما أنتم عليه .

عمر — ماذا تعنى ؟

حربو — أعنى . . بما أنتم عليه فى الأرض .

مصطفى — طبعاً .

حربو — بكل ما تحملونه فى نفوسكم من متناقضات .

مصطفى — (لعمر) الظاهر أنه سيقل أدبه .

حربو — (مستمراً) بحروبكم ومطامعكم . . ورذائلكم . . وذنوبكم . . بكل ما يحمله الإنسان من نقائض .

عمر — وما يحمله من مزايا . . بحبنا وذكائنا . . وخيرنا . . وصبرنا . . فى التعمير والبناء . . والعدالة والمساواة .

حربو — بحصيلة كل هذا الذى فى أرضكم . . والذى جعل الأرض . . بكم . . ما هى عليها .

مصطفى — أجل .

حربو — باختصار . . ستجعلون منه أرضاً أخرى .

صبحى — (بفخر) طبعاً .

حربو — (بمنتهى الأسى) عليه العوض .

مصطفى — فعلا . . عليه العوض . . (لعمر) أترى مشكلة البشر هى أن الأرض قد ضاقت بهم فعلا ؟

عمر — الحقيقة . . لا . . بإمكانات البشر الحالية . . لم تضق بهم الأرض . . وإنما يهدر خيرها من البعض . . ويعيش البعض الآخر محروماً . . ميزانيات التسليح التى تهدر فى الأرض . . يمكن أن تقضى على كل ما بها من حرمان وعوز .

مصطفى — وبإمكانات البشر المقبلة . . يمكن أن تضاعف طاقات الأرض فى تهيئة الرخاء .

عمر — المشكلة إذن لم تصبح بعد مشكلة طاقة الأرض .. أو طاقة البشر فى استغلال الأرض .. وإنما هى مشكلة سوء تدبير أمر البشرية كوحدة نتيجة لسوء التفكير ، وسوء الخلق .

مصطفى — أجل . . لو دبر البشر أمرهم كوحدة واحدة . . بحسن فهم وتعاون . . فإن خير الأرض يكفى البشر جميعاً . . ولتوافرت للبشر جميعاً سبل من الرخاء . . تقضى على الصراع الذى ينشب بينهم من أجل أن

يوفر كل منهم الرخاء لنفسه ويحرم الآخرين .

عمر — لو فعل الإنسان هذا . . لفرغ من الصراع الداخلى . . وتفرغ لصراع أعداء البشر فى الأرض . . من الجرثومة إلى الزلزال .

مصطفى — واستطاع أن يحصل على المزيد من الرخاء فى أرضه . . والمزيد من الخير فى عالمه .

عمر — والمزيد من الفضل فى نفسه . . لطوّر نفسه إلى مخلوق أفضل . . فى كل شىء .

(حربو يهز رأسه فى دهشة ويسأل صبحى) .

حربو — ماذا يقول صاحباك ؟

صبحى — كلام فارغ . . مما يكتبونه فى الكتب . . أشياء تقال ولا تحدث . . أشياء لا تتحقق كما قال الباشمهندس إلا بحسن الفهم بين البشر وحسن الخلق ، ومن أين لنا هذا يا حربو ؟

حربو — من يدرى . . قد يقتنع البعض بهذا . . ويدعون إليه ويدبرون أمر البشرية .

صبحى — (مقاطعاً) تدبير أمر البشرية ليس مهماً الآن يا حربو . . المهم تدبير سيجارة . . سيجارة ياحربو؟

(يسمع ضجيج فى الخارج) .

حربو — ما علينا .. يبـدو أنهم قادمون لتنفيذ الحكم (لعمر) طبعاً .. أنت لا تعرف كيف تلقى آلهتنا ؟

عمر — أعرف كيف ألقى إلهى .. أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

حربو — اسمع .. نصيحتى .. عند ما تذهب بعد الموت إلى قاعة الحساب ستجد القاضى أوزيروس يساعده الاثنان والأربعون إلهـا فى محاسبة المتوفى وهؤلاء شياطين مخيفة يحمل كل منهم اسمـاً بشعاً مثل آكل الظل الذى يخرج من الكهف وكاسر العظام الذى يخرج من أهناسيا .

صبحى — يا حفيظ .

حربو — (مستمراً) وتبرىء نفسك من كل الذنوب .. التى ترتكب فى زمننا هذا .

عمر — ولكنى ارتكبتها فى زمنى .

حربو — اسمع لما أقوله ولا تضيع الوقت .. قل لهم إنى لم أقتل ، إنى لم أسرق ، ولم تعظم ثروتى إلا من ملكى الخاص ، إنى لم اغتصب طعاماً ، إنى لم أثر الخوف ، ولم أذك الشجار .

عمر — هذه كلها ذنوب زماننا .

حربو — إنى لم أطفف الكيل ، ولم أطمع ، ولم

أغتصب ، ولم أسب ، ولم أتكبر .. إنى لم أرتكب الفحشاء .

عمر — لا جديد هنالك فى الذنوب ؟

حربو — إنى لم أكذب .

عمر — هذه أكبر كذبة .

حربو — تلك ذنوب زماننا التى عليك أن تبرىء نفسك منها أمام الآلهة . . . لقد قلتها لك حتى تذكرها جيداً . . أتريد أن أعيدها عليك ؟

عمر — لا داعى . . إنها بعينها ذنوب عصرنا .

حربو — عجيبة ! ! ألم يتغير الإنسان فى زمنكم ؟ شىء ما كان لا بد أن يحدث له ؟

مصطفى — كيف ؟

حربو — بعد كل هذا الزمن ، وبعد أن التصقت به تلك الذنوب المعادة المكرورة . . كان المفروض أن تصبح جزءاً منه . . من طبيعته .

عمر — الذنوب تصبح جزءاً من طبيعته . . معنى هذا أنها لن تصبح ذنوباً .

حربو — أجل .. عندما يلتهم الأسد طعامه .. أتحسب عليه جريمة ؟

مصطفى — لا .

حربو — عند ما يمكر ابن آوى . . . أيصبح مذنباً ؟

عمر — لا . .

حربو — أيعتبر الديك وسط الدجاج زانياً ؟

صبحى — (مؤكداً فى حماسة) طبعاً لا .

حربو — لماذا تعتبر مساوىء الإنسان النابعة من طبيعته .. الملتصقة به على مدى الزمن .. ذنوباً .

عمر — لا يا حربو.. الذنوب ستظل ذنوباً .. مادامت تنتج أذى.. والإنسان ملزم أن يمنع الآخرين من الأذى .. الحيوان يرد الأذى بالأذى ، ولكن الإنسان يرد الأذى بتحريم إتيانه ، بتحديد الأعمال المؤذية ..فى ذنوب لا يسمح بارتكابها ويعاقب من يمارسها .

حربو — وهل استطاع العقاب منعها ؟

مصطفى — لا أظن .

حربو — لماذا ؟

مصطفى — لأنها . . لأنها نابعة من طبيعته . . من تركيبه .

عمر — هذه هى المشكلة . . إذا كانت ذنوب الإنسان لا يمكن السماح بها . . لأنها أعمال مؤذية . . ولا يمكن الامتناع منها لأنها نابعة من طبيعته . . فقد كان عليه طوال

تلك السنين ، أن يطور طبيعته .

حربو — كيف ؟ .

عمر — متاعب الإنسان . . لن يحلها تطوير الأشياء الخارجة عنه .. بقدر ما يحلها تطوير الأشياء الداخلة فيه .

حربو — (يهز رأسه فى غير فهم) .

صبحى — أنا أيضاً لم أفهم !

عمر — إن كل ما استطاع الإنسان أن يصل إليه من اختراعات لم يحقق له فعلا ما يمنحه . . شيئاً أكثر مما حصل عليه الإنسان فى الزمن الغابر . . إننا نتساوى وإياهم فى المتاعب والآلام والقلق والخوف والمرض والعراك .. وحصيلة المتع لا تكاد تتفاوت كثيراً برغم كل ما حققه الإنسان بعد السنين الطوال مما ظنه مسببات للمتع .

عمر — إن الإنسان برغم كل ما طوره مما حوله . . لم يطور شيئاً من نفسه .. الأخ حربو الواقف بباب السجن .. ينكر أمام آلهته هذه الذنوب التى يرتكبها أى إنسان الآن .

حربو — أظنك أكدت هذا ؟

عمر — وهى وكل متاعب الإنسان .. لاشك ناتجة من

طبيعته . . من طريقة تركيبه .. من خامة خلقه وعاطفته وذهنه ، وجسده .

مصطفى — أجل .

عمر — لماذا لا يوجه الإنسان إذن جهده . . لتطوير نفسه . . لتطوير الأجيال التالية له .

حربو — كيف . . أيمكن هذا ؟ .

عمر — لقد فعلها فى النبات والحيوان . . لقد أنتج من الحيوان سلالات أنضج . . بطرق علمية ، وطور النبات بطريقة .. لو تصورنا حدوثها فى الإنسان . . لأصبح القزم عملاقاً . . . وأصبح المجرم قديساً . . ما حدث فى النبات من وفرة المحصول . . وجودة النوع جيلا بعد جيل . . لو أنه طبق على الإنسان لرأينا منه عجباً .

صبحى — أجل . . أجل . . لم نكن فى الماضى نعرف البرتقال أبو صرة . . ولا العنب الجانكليز . . ولا المنجة الفونس .

مصطفى — هذه أصناف طورت بالتطعيم . . . ولكن كيف يمكن أن نطور الإنسان ؟

صبحى — جهود يجب أن تبذل لتطوير بنيانه . . وتركيبه الذهنى . . والعصبى . . يجب ألا نكتفى بعلاجه

وصد عادية الأمراض عنه . . ولكن يجب بذل أكبر جهد في تطويره . . في تحسينه .

مصطفى — أظن الجهود التي تبذل من أجل التربية والثقافة الاجتماعية والدينية هي التي يمكن أن تطوره ؟

عمر — لست أقصد التطوير من خارجه . . أقصد تطويراً عميقاً من داخله . . نحن لا نقنع شجرة النارنج أن تعطينا برتقالا ، ولكن نحولها لكي تعطى برتقالا .

مصطفى — هذه أشياء بالنسبة للنبات معقولة ، ولكن للإنسان تبدو غير معقولة .

عمر — أبعد كل الذي اخترعه من العجائب . . يبدو لنا .. تطوير جنسه غير معقول . . أينجح الإنسان في خلق سلالات رائعة من الدجاج . . والبقر . . ولا ينجح في خلق سلالات متطورة من الإنسان؟

حربو — لست أعرف . . ماذا تعلمتم في زمنكم . . (لصبحي) أيمكن هذا ؟

صبحي — يمكن أو لا يمكن . . ماذا يهمنا نحن ؟ . . وماذا يمكن أن نفيد نحن من تحسين أجيال قادمة . . لكي تصبح أفضل جنساً . . إن تطوير الدجاج والبقر أفضل لنا كثيراً .

عمر — أترى تلك هى العلة . . فى أن الإنسان لا يركز جهوده فى هذا . . أتراه لا يبذل جهداً إلا فيما يحصل هو على ثمرته ؟

(تسمع الضجة مرة أخرى)

حربو — استعدوا . . يبدو أنهم قادمون فعلا هذه المرة . . عن إذنكم .

صبحى — (صائحاً) سيجارة يا ناس .. سيجارة يازمن خرمان .

(يسمع صوت مريت فى الخارج ومعها سخمت)

مريت — أسرعى يا سخمت .

عمر — (يقفز من مكانه) مريت . . إنها قادمة . . كنت أتمنى أن أراها .

مصطفى — وما الفائدة . . إذا كان الحكم سينفذ بعد هنيهة .. (لنفسه) هذا غير معقول يجب أن نبلغ إخواننا هناك . . فى الضفة الأخرى . . فى زمننا .

مريت — (من الخارج) مساء الخير يا حربو .

حربو — سيدتى الأميرة . . مساء الخير .

مريت — أريد أن أرى مساجينك يا حربو . . أتفتح لى ؟

حربو — أوامر سيدى حور . . ألا أفتح لأحد .

مريت — حتى أنا؟

حربو — أوامر سيدى حور . . حتى أنت . . أو على الأصح . . لاسيا أنت . . ولكن . . .

مريت — لقد أتيت الليلة . . لأنى أعلم أنك هنا ياحربو . . انتظرت حتى نام الجميع .. وتسللت من حجرتى مع سخمت ، ولم أشك لحظة فى أنك ستفتح لى . . فأنا أعلم أنك طيب القلب ، نقى السريرة .

حربو — (متمتماً) وإنى لا أنكر الجميل ، ولا أنسى الفضل .

مريت — لست أذكر فضلا لى على أحد .

حربو — ولكن الناس كلهم يذكرون أفضالك عليهم ، وأنا بينهم .. لن أنسى ذلك اليوم الذى كنا ننقل فيه الحجارة إلى المعبد فى الهجير ولهب الشمس يلسع ظهورنا . . وقد أثقلت كواهلنا ، وجفت حلوقنا . . وجلست ألتقط أنفاسى . . وأنا أحس أنى أوشك أن أتهاوى عندما أحسست يد رقيقة تربت ظهرى وتناولنى إناء الماء البارد ، ووجدتك ياسيدتى الأميرة تأمريننا بالعودة إلى بيوتنا وإلى حقولنا .

مريت — لم تكن هناك فائدة . . فيما فعلت . . فلقد أعادكم أبي إلى العمل فى اليوم التالى . . لم تكن المشكلة مشكلة مشقة العمل بقدر ما كانت مشكلة الهدف الذى تعملون من أجله . . لقد رأيت هناك من يعمل أضعاف عملكم . . وكانوا يتسابقون إلى العمل بابتسامة على شفاههم وأغنية على ألسنتهم .

حربو — مهما كان الأمر يا سيدتى ، فإنى على أتم استعداد لكل ما تطلبينه .

مريت — أتفتح لى يا حربو . . إنى أريد أن ألقى مساجينك .

حربو — (يفتح الباب) تفضلى يا سيدتى .

(تدخل مريت ووراءها سخمت . . حربو يغلق الباب وراءهما) .

حربو — لا تتأخرى كثيراً يا سيدتى .

(عمر يندفع إليها ويمسك بيديها فى شغف) .

عمر — مريت . . كنت أخشى أن أحرم من كلمة وداع .

مريت — (ترفع يديه إلى شفتيها وقد انهمر الدمع من عينيها مبللا كفيه) كنت السبب فى كل ما حدث لك . .

أنا الذى جررتك إلى هنا .. خطفتك من عالمك ، لألتى بك فى هذه الغياهب . . لأقذف بك آلاف السنين وراء عالمك المتحضر .

عمر — لم يقلقنى هذا قط . . وإنما أرقنى بعدك عنى . . أرقنى أن أفقدك .

مصطفى — تفقدها فقط . . إنك ستفقد حياتك .

صبحى — وسأفقد أنا أنفى . . لماذا ؟ . . ماذا فعل لهم أنفى ؟

مريت — أنا آسفة . . كم أحزننى أن أسبب لكم كل هذا . . ولكنى كنت واثقة أنه لن يمسكم ضر وأنا على قيد الحياة . . إنى لم أذق طعم النوم حتى استطعت أن أدبر أمر إنقاذكم .

مصطفى — هل سيفرجون عنا ؟

مريت — لقد حاولت عبثاً أن أقنع أبى بكذب الفرية ، التى نقلت إليه ، وبالمؤامرة المحكمة التى دبرت ضدكم . . ولكن حور كان قد أقنعه هو وحاشيته بمدى خطورتكم على ملكه .

صبحى — خطورتنا نحن على ملكه ، أين هذا الملك الذى ليس به سيجارة واحدة ؟ . . ياستى يشبع به . . قرّبى

يابت يا سخمت خذى البركة وهاتى تحسيسة .

(يقرص سخمت) .

سخمت — (تبتعد عنه) سيدى سمنكرع ، لقد أخطأ خنوم كبير القضاة فى حكمه عليك عندما أمر بقطع أنفك .

صبحى — لماذا ؟ .

سخمت — (ضاحكة) كان يجب أن يأمر بقطع يدك حتى تقتصد فى بركاتك . . إن كبير الكهان . . .

صبحى — (مقاطعاً) يا ستى . . انتهينا . . لم أعد كبير كهان ، ولا حتى إمام زاوية . . فقط خلصونا .

مريت — حاضر يا سمنكرع .

صبحى — صبحى . . صبحى وحياة والدك . . لا داعى للسكرع والمنكرع .

مريت — لقد دبرت أمر فراركم من هنا .

عمر — كيف ؟ .

مريت — (هامسة) وراء هذه النافذة .. يعمل أعوانى طوال الليل لخلع الحجارة من أسفل النافذة . . والليلة سينتهى خلعها جميعاً . . وعندما تسمع ثلاث طرقات من الخارج سيكون كل شيء معداً . . وعندما يسمعون رد طرقاتهم بثلاث طرقات مثلها ، سيرفعون الحجارة من مكانها

حتى تستطيعوا الخروج من فتحة النافذة .

عمر — وبعد الخروج ؟

مريت — سيكون هنـــاك قارب معد . . لنقلـكم إلى الشاطىء الآخر .

عمر — تقولين . . نقلـكم ؟

مريت — (تهز رأسها فى أسى) أجل .

عمر — أم نقلنا ؟

مريت — نقلـكم .

عمر — ألن تأتى معنا ؟ .

مريت — إلى أين ؟

عمر — إلى الضفة الشرقية .

مريت — ليتنى أستطيع .

عمر — ولماذا لا تستطيعين ؟

مريت — إنها بعيدة . . بعيدة .

عمر — بضع دقائق .

مريت — بل بضعة قرون .

عمر — لم تعد غريبة عنك .

مريت — أخشى كل مافيها .

عمر — حتى أنا ؟

مريت — أنت أكثر ما أخشى هناك .

عمر — كيف ؟

مريت — أخشى أن تمسى . . وتصبح . . فتجدنى غريبة عنك . . غريبة عن زمنك . . تجدنى أعيش فى أقصى الزمن . .

عمر — يامريت . . أنت تعيشين فى دمى . . فى كيانى .

مريت — وأنت كيانى . . أنت حياتى . . ولكن التجربة المروعة التى خضتها فى عالمك تجعلنى أرتجف . . تجعلنى أحس بهوة الزمن بيننا كالغول يفتح فاه .. ليلتهم كل من يحاول تخطيه إلى الآخر .

عمر — الزمن يامريت . . إنى لا أخشاه أبداً.. أحس بأنفاسك على يدى . . أشد جاذبية من كل ما بيننا من فوارق .. أحس برغبتى فيك .. أقوى من الزمن .. لقد قفزت من عالمى إليك ولم أضق به .

مريت — ولكنه ضاق بك .

عمر — سأبقى معك .

سخمت — أجل ، لماذا لايهربون ويبقون معنا ياسيدتى؟

مريت — كيف .. كيف يبقون .. وأين ؟

سخمت ــ بعيداً عن القصر . . وسط الحقول المترامية يزرعون الأرض .

مريت ــ أنت لا تعرفين يا سخمت . . لا تعرفين ماذا يفعلون فى زمنهم ، لديهم صناديق صغيرة تتحدث كالروح ، وآلات تقضم الجبل .. كيف نريد منهم أن يزرعوا الأرض بالفأس . . ويخرجوا فى الصباح إلى الحقول ومعهم كسرة الخبز والبصل وقطعة السمك المقدد ويشربوا من ماء النهر .

مصطفى ــ السمك المقدد ؟ . . فلاحكم يأكل السمك المقدد ؟ .

سخمت ــ أجل .

صبحى ــ عجيبة !

سخمت ــ لماذا ؟

مصطفى ــ لأن فلاحنا.. لا يكاد يجده . فلاحنا مازال يفعل ما يفعله فلاحكم .. عدا السمك المقدد .

مريت ــ ولكن زمنكم .. زمن العجائب .

عمر ــ لا يغرنك يا مريت ما رأيت . . ما زال هناك فى عالمنا .. أناس يعيشون أسوأ مما يعيش الإنسان فى زمنكم ، ما زالوا يشربون ماء النهر ولا يجدون أكثر من العيش والبصل ، ومن أجل هذا تقوم الثورات .

مصطفى — لكى يلحق الذين وجدوا فى زماننا.. بالزمن الذى يعيشون فيه .. لكى يعيش أهله . . كما ينبغى أن يعيش الناس فيه .

مريت — ألم ينصفهم القدر بعد كل هذا الزمن ؟

عمر — القدر . . يا مريت . . لم نعد نلقى عليه بكل أعبائنا . . أشياء كثيرة بتنا نفعلها نحن لأنفسنا . . لقد بات علينا أن ندبر أمرنا .. تدبيراً محكماً . . لم نعد نترك للقدر شيئاً .. بل بات علينا أن نقوم شطحات القدر .

مريت — ومفاجآته ؟ .. وألاعيبه ؟

عمر — توضع فى الحسبان . . كشىء متوقع منتظر . . فتفقد قدرتها على المفاجأة ، والخذلان .

مصطفى — لم يعد المستقبل ينمو كما يريد . . بل بات ينمو بإرادة الإنسان .. برغبته فى الإنماء .. وبقدرته عليه .. فى الحدود التى يريدها . . وبالقدر الذى يريده . . من أجل حاجاته . . وآماله .

عمر — شىء واحد هو الذى لا قدرة للإنسان على التخطيط له .. أو رسم حدود أيامه . . ولياليه . . شىء واحد .. احتفظ به القدر . . لنفسه . . فلم يستطع الإنسان أن ينزعه منه .

مريت ــ ما هو .. ؟

عمر ــ الإنسان نفسه .. لقد ملك السيطرة على كل ما حوله . . والتخطيط له . . إلا نفســـه . . أشياء كثيرة استطاع أن يرسم لها الحدود . . ويضع لها خط السير . . لكى يعرف . . متى ستصبح كيف . . ولكن عن نفسه . . عن الشيء البسيط المحرك .. لذاته .. لم يستطع أبداً .. أبداً .. أن يعرف . . متى سيصبح كيف . . ولا أين . . المخططون المفكرون العباقرة . . الذين يحددون لكل شيء متى سيصبح كيف .. وأين .. لا يستطيعون أن يعرفوا لأنفسهم، متى ستصبح كيف . . وأين .. متى ستتوقف دقات قلوبهم وكيف وأين .. متى ستعجز أذهانهم عن التفكير . . وكيف وأين.. متى ستوقف أجسادهم عن الحركة .. وكيف وأين .. متى سيتحول هذا الشيء القيم الأنيق المفكر العامل .. الذى يسمى الإنسان إلى رمة يذيبها التراب . وروح مبهمة غامضة أقرب إلى الأمنية منها إلى الحقيقة . . وكيف وأين . . ذلك هو الشيء الذى عجز عنه .

مريت ــ الميزة الوحيدة الباقية للإله .

صبحى ــ (متمتماً) .. الله .. لا إله إلا هو . . الحى القيوم . . لا تأخذه سنة ولا نوم . . له ما فى السموات

وما فى الأرض . . منذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه . . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . ولا يحيطون بشىء من علمه . . إلا بما شاء .

(تسمع فجأة ثلاث طرقات على الجدار)

(ينصت الجميع مأخوذين ثم تتحرك مريت بسرعة تجاه النافذة)

مريت — لقد أعدوا كل شىء . . هذه هى الطرقات الثلاث التى اتفقنا عليها . . ارقبى الباب ياسخمت . . شاغلى حربو إذا بدا منه أى قلق أو شك .

(تتجه سخمت إلى الباب)

صبحى — شاغليه ، من غير تحسيس .. فاهمة .

(مريت تدق على الجدار ثلاث دقات)

(تمتد يد إلى الأحجار التى أسفل النافذة فتنزعها فى يسر بعد أن خلعت من موضعها)

عمر — (ينظر إلى مريت فى لهفة وأسى) .. مريت .. أيمكن أن يكون هذا وداعنا الأخير ؟

مريت — لا أستطيع أن أفكر فى هـــذا . . حتى أحتمل الحياة . لا أستطيع أن أتصور الحياة . . بغيرك .. أبداً .

عمر — إذن ستأتين إلىّ ؟

مريت — من يدرى .

عمر — أو آتى إليك ؟

مريت — هوة الزمن سحيقة . . سحيقة .

عمر — ما بيننا . . أقوى . . من كل الفواصل . . والسدود .

مريت — والزمن ؟

عمر — والزمن يا مريت .. قولى إننا سنلتقى .

مريت — سنلتقى .. سنلتقى .. فلتعنّا الآلهة . . حتى نلتقى .. عبر هذه السنين الطوال .

(تسمع حركة فى الخارج)

مريت — (بسرعة) هيا .. أسرعوا .

(يخرج مصطفى مودعاً مريت)

مصطفى — لا أظننى أسفت على فراق إنسان . . كما أسفت على فراقك .. إنك يا مريت أجمل ما فى زمنك .

مريت — شكراً . . مع السلامة .

صبحى — (خارجاً) السلام عليكم .. سأعود إليكم .. بعد أن أشترى علبة بلمونت . . انتظرينى يا سخامة البرك .. إياك أن تلعبي بذيلك .

(تزداد الضجة فى الخارج)

مريت — هيا أرجوكم .

عمر — (يضمها إليه فى لهفة) . . ســـأنتظرك ! . . يا حبيبتى .. فى أى زمان . . وفى أى مكان .

مريت — (تضمه إليها ثم تدفعه إلى الخارج) .. اذهب ، وليحفظك الله .. ياحبيبى .. فى كل زمان .. وفى كل مكان .

(ستار)



الفصل السادس



المعجزة...

المنظر الأول

(موقع السد فى يوم تحويل مجرى النيل . .
فى مكان على الضفة الشرقية للقناة المحفورة فى الجبل
يشرف من ناحية اليسار على السد الرملى الذى
يحجز مياه النيل عن القنـــاة ويوشك أن ينسف
لتتدفق منه المياه إلى القناة بعد أن تمت المرحلة
الأولى للسد العالى . . وتم سد المجرى الأصلى
للنيل . . على اليمين تبدو فتحات الأنفـــاق التى
ستندفع فيها المياه لتتدفق من الجانب الآخر حيث
تتحكم فيها البوابات وتتولد منها الكهرباء .
جمهرة من العمال والمهندسين والخبراء
يجلسون على صخور الضفة وقد بدت عليهم
الفرحة وأخذوا يتبادلون التهانى ومن بينهم عمر
ومصطفى وقدرى وجمال وقد جلس بجوارهم
ستيفانوف المهندس الروسى الشاب ، وعلى مقربة
منهم جلست صفية تسجل صورة صوتية لعملية
التحويل) .

**صفية — (فى الميكرفون) فى هذه اللحظات الحاسمة
يعيش شعب مصر أروع لحظات عمره بعد سنوات من**

النضال كافح فيها من أجل بناء السد العظيم ، بعد معارك الدفاع ضد قوات الاحتلال والغزاة .. بعد الحصار الاقتصادى .. بعد حروب التشكيك والصراع مع الماء والجبل .. بعد كل هذا النضال حقق الشعب المعجزة . . لقد بدأت ساعة الانتصار أمس حين تم وضع اللمسات الأخيرة فى الاستعدادات لتحويل النهر من مجراه القديم ، وفى هذه اللحظات ستغمر فيها المياه المجرى الجديد رمزاً حياً للإرادة والعمل .

عمر — لقد أعد كل شىء للحظة التاريخية .

مصطفى — وصدرت الأوامر بنقل الكهرباء إلى أسلاك التفجير التى تتصل بشحنة الديناميت المثبتة فى السد الرملى الأمامى .

عمر — أرى قناة التحويل قد غمرت بالمياه إلى ارتفاع خمسة أمتار لتخفيف قوة اندفاع الماء بعد التفجير حتى لا تؤثر على أساسات الأنفاق والمحطة الكهربائية .

قدرى — والسد الرملى قد أخلى تماماً ولا يبدو فوقه سوى آثار أقدام أمضت الليل تشرف على التحوّل التاريخى .

مصطفى — وصندوق التفجير فى مكانه ينتظر اللمسة الحاسمة .

(من مكبرات الصوت يسمع صوت الرئيس عبدالناصر فى خطبته التاريخية) :

« يارجال مصر . . ويا نساءها وأطفالها ، هنا أمام الدنيا كلها .. رمز حى لإرادتكم وتصميمكم ومقدرتكم على العمل وعلى الفداء . . هنا بهذا السد العالى تذكار لانتصاركم على كل اعتداء . . وعلى كل الصعوبات . . هذه صورة رائعة لأحلامكم صنعها العمل الذى يحرك الجبال ويخضع الطبيعة لإرادة الإنسان مهما دفع من الدم والعرق وليؤكد سيطرة الإنسان بروح ربه وهداه على الحياة لتكون شرفاً له وليكون شرفاً لها . . تحت الظلام الذى فرضته الغارات أثناء معركة السويس وفى الخنادق ووسط المعارك العسكرية والاقتصادية والنفسية كانت أغنية الرجال والنساء والأطفال من أبناء مصر بأنهم سوف يبنون السد .

« يا رجال مصر ونساءها وأطفالها لقد تحققت المعجزة وبنيتم السد ، إن الله منحكم الشجاعة على الصمود ومنحكم القدرة على العمل .

« إننا الآن ننظر إلى المعجزة أمامنا ونقول كما قلنا دائماً

بعد كل انتصار : الحمد لله . . »

(يسمع صوت انفجار الديناميت الذى ينسف السد الرملى ، ثم يسمع هدير المياه المتدفقة فى القناة) .

عمر — لقد حركت ضربة الانفجار الجانب الأيمن من السد .. الرمل يتحرك . . ظهر خيط من المياه . . خيط رفيع كأنه يتسلل من وراء السد . . يحفر لنفسه طريقاً .. إنه يتسع ويتسع ويزداد عمقاً فى باطن السد .

قدرى — ما أجمل تدفق المياه وسط الصخور .

جمال — تبدو كشرايين تتدفق منها الحياة .

مصطفى — لن نسير بعد ذلك فى القاع .

عمر — كل مرة إذ أسـير فى أرض القناة . . وأخوض وسط الأنفـاق . . كنت أحس بالنشوة وأنا أتصور ما سأقوله للجيل القادم من أحفادنا .. بعد أن يغمر كل هذا بالمياه . . ولا يعودون يبصرون منه سوى مجرى طبيعى للنهر .. هل سيصدقون أننا سرنا على أقدامنا فى قاعه .. وفى أنفاقه .. وأننا حفرناه بسواعدنا .

قدرى — (ضاحكا) لقد أحضرت ابنى لـكى يسير معى . . ولـكى يرى بنفســه المعجزة . . ولـكى يروى هو لأولاده . . مافعل أجدادهم . . ليروا ما حققتـه عزيمة

قائد وصلابته وإصراره .. وقوة شعب وجلده وصبره .

مصطفى — خير ما فى هذا العمل أنه دليل على إرادة الإنسان . . وعلى تفوّقه المطلق فى هذه الأرض . . لم يعد له أن يستسلم لشىء ما . . لمجرد أنه وجد هكذا . . لأن إرادته قادرة على أن تحوله إلى ما ينبغى أن يكون عليه . . هذا الجبل الذى كان هنا .. عليه أن ينقض وأن يخلى مكانه .. وهذا النهر الذى كان يسير هناك .. ينبغى له أن يسير هنا .. إن هذا العمل يملؤنا إيماناً بالإنسان وبإرادته .

عمر — (يهز رأسه فى دهشة) الآن وأنا أجلس هنا . . وأرى المياه تتدفق فى القناة . . لا أكاد أصدق أن كل هذا العمل قد أنجز فى هذا الزمن . . من يصدق أننا حفرنا عشرة ملايين من الأمتار فى الصخور .

قدرى — وردمنا مثلها فى النهر .

مصطفى — والأزمات التى مررنا بها ، أتذكرون يوم انهار السد الرملى حيث تتدفق المياه الآن . . وكان يحجز تيار النيل عن العاملين فى القناة وفى الأنفاق .

جمال — عندما تساقطت أجزاء منه فى النيل وأخذ التيار يأكل الشريط الضيق الباقى .

قدرى — كان معنى هذا أن تغرق الأجهزة

والكراكات والسيارات ويتوقف العمل عاماً كاملا حتى يتم بناء السد الرملي الجديد وتنزح المياه المتدفقة فى موقع العمل .

مصطفى — واندفعنا جميعاً وكأن بنا مساً من جنون . . اندفع كل عامل وكل مهندس فى إرادة عنيدة وإصرار عجيب لنقل الرمال والحجارة .

قدرى — ودون أن يختل سير العمل الأصلى فى السد سُدّت الفجوة التى كاد التيار يفتحها فى دقائق قليلة .

رئيس العمال — كان يوماً مخيفاً ، كنت أدعو الله أن ينقذنا .. وقبل الله الدعوة .. ولكن (عنتر) راح منا فى ذلك اليوم . . عندما انقلبت به العربة وهو يسرع نحو السد .

جمال — رحمه الله . . ورحم شهداءنا جميعاً . . ليتهم كانوا هنا معنا ليروا نتيجة جهدهم .

ستيفانوف — هذا السد ثمن دمائكم التى أريقت فى معارك الكفاح المريرة التى خضتموها من أجل حقكم .. إنه ثمن دماء شهدائكم الذين سقطوا فى كل ميادين النضال التى خضتموها . . فى بور سعيد .. وفى القناة . . وعلى مدى التاريخ . . هذا السد دليل على انتصار حق الإنسان فى الحياة . . إنه إشراقة الأمل فى أفق كل مكافح من أجل حريته . . ومن أجل حقه فى الحياة الكريمة . . هذا هو

العمل الجاد الحقيق . . يشرق عـــلى قارتكم المكافحة . . ليؤكد لشعوبها أن كفاحها لن يضيع سدى ، وأن اليد التى فك قيدها لن يقف فى سبيلها شىء من أجل توفير الرخاء والرفاهية .. والمشاركة فى الحضارة الإنسانية وإقرار السلام فى العالم كله . . هذا السد دليل على أسمى المعانى الإنسانية .

قدرى ــ أجل . . أجل . . هذا السد لا يعنى فقط إضافة مليونى فدان تزرع فى أرضنا . . أو عشرة مليارات كيلوات تضاف إلى قوانا الكهربائية . . ولكنه يعنى . . مثلا جديدة فى علاقات البشر . . مثـــلا رائعة فى تعاون الشعوب القائم على الثقة والمحبة .. لا على الاستغلال والشك وسوء النية .

عمر ــ أنت هنا يا ستيفانوف نموذج لكل تلك المثل الطيبة . . أنت الذى تعودت حياة الثلوج فى سيبيريا . . تجلس هنا بيننا لتصلى سعيرنا . . أنت وزوجتك إيلينـــا وولداك . . أتيت لتمنحنا خبرتك وجهدك وستعود غداً إلى بلدك دون أن تأخذ منا شيئاً أكثر من أجرك ودون أن تترك بيننا إلا العمل الطيب والذكرى الحسنة . . لم تأت بسلاح . . ولم تذهب بغنيمة . . لم تمنح لنفسك حقـــاً فى أرضنا ، ولا حاولت أن تفرض علينا أسلوباً فى التفكير

أو فى الحياة .. احترمت حريتنا فى العمل وفى التفكير .

مصطفى — أجل يا ستيفانوف .. لم تفعل شيئاً من هذه الأشياء التى كانت تملأ نفوسنا ريبة فيكم .. وخشية منكم .. لم تحاول أن تخلط ببضائع السد . . بضائع مذهبية . . ولا حاولت أن تسرب مع خبرتك الفنية .. خبرة حزبية . . لم تحاول أن تخص بعضنا بصلات خاصة .. لتكون منهم جماعة يدينون بالتبعية لكم . . كنت دائماً مستقيما فى عملك واضحاً فى علاقاتك .

قدرى — أسلوب جديد فى تعاملكم مع الناس ياستيفانوف .

ستيفانوف — (مفكراً) قد يكون هذا مظهراً لأسلوبنا الجديد فى الحياة .. وفى العلاقات مع الناس .

جمال — كيف ؟

ستيفانوف — الأسلوب الذى اتهمنا من أجله رجعيو الشيوعية بالبورجوازية . . والخروج على المبادىء الأصلية للشيوعية .. أن نجعل الإنسان أثمن ما فى الحياة .. وأن نمنحه أقصى ما يمكن تيسيره من سبل الراحة والاستمتاع بالعيش .. أن نوفر له الطعام الشهى والملبس الجيد والمسكن المريح . . لكى نزيد من قدرته على الإنتاج . . وأن نكافئه

على قدر جهده . . لكى نزيد من رغبته فى الإنتاج . . ألا نساوى العامل بالخامل .

قدرى — تعنى اشتراكية إنسانية ياستيفانوف .. أن يكون الإنسان سيد الآلة .. وليس عبداً للآلة .. أن يكون الإنسان هدفاً .. وليس وسيلة .. أن يكون غاية . . لاسبيلا إلى غاية .

ستيفانوف — لقد قاسى الإنسان عندنا كثيراً .. كانت علاقته بالسعادة والراحة والحياة الطيبة . . لاتوجد إلا فى الأفلام التى تعرض علينا . . وكانت الحكومة تفرض على المزارع الجماعية سعراً للمحصول الزراعى لا يمنح الفلاحين فى المزارع إلا حياة الكفاف . . وكانوا يعملون بالسخرة من أجل أن يوفروا الكمية المطلوبة من المحصول بالسعر المفروض . كانت الدولة عندنا قادرة ، والناس تعساء مساكين . . ولقد آن للناس أن يعيشوا . . وأن يكافئوا عن جهدهم .

جمال — تغيير خطير فى أسلوبكم فى الحياة . . كان لابد منه .. فالإنسان ينتصر دائماً .. الإنسانية قبل كل شىء .

مصطفى — ولست أظن علاقاتكم بالناس ستصير قائمة على التسلل المذهبى . . ولست أظن الأحزاب الشيوعية قد باتت الوسيلة المثلى . . فى ارتباطكم بالغير وصداقتكم له .

ستيفانوف ــ جائز .. (ضاحكا) لمَ لا .. ألسنا كذلك؟

عمر ــ الاشتراكية . . كفاية وعدل . . ليحققها كل منا بأسلوبه النابع من أرضه ومن تراثه الفكرى .. ولكن جميعاً أصدقاء .

(عمر ينهض وقد بدا عليه الإجهاد)

مصطفى ــ عمر . . ماذا بك ؟

عمر ــ لاشىء .

مصطفى ــ أين كنت فى الصباح ؟ . لقد مررت عليك فأخبرونى أنك خرجت مبكراً . . وحاولت عبثاً أن أعثر عليك فى أى مكان .

قدرى ــ (لجمال) كان هائماً فى الضفة الغربية .

جمال ــ يبدو عليه الإرهاق .

قدرى ــ شىء ما قد حدث له .. لم يعد أبداً .. الإنسان المرح اليقظ .

جمال ــ (مشيراً إلى المياه المتدفقة فى القناة) انتهينا يا عمر .. لن تجرى بعد ذلك فى قاع النهر . . أغرقت المياه كل شىء .

عمر ــ (متطلعاً إلى الأفق الغربى) ليس بعد . . لم تغرق كل شىء .

قدرى — (ضاحكاً) يا أخى غـــداً . . ستغرق كل شىء .

عمر — (فى صوت خفيض) أجل ، غداً ستغرق كل شىء .. (يطرق فى حزن) غداً . . سيغرق كل شىء .

(مصطفى ينتحى بعمر جانباً .. ويتشاغل الباقون بمراقبة ماحولهم ويلتف البعض حول صفية وهى تسجل الصورة الصوتية) .

مصطفى — أمازلت تذهب إلى هناك ؟

عمر — (يطرق)

مصطفى — وما آخرة كل هذا . . أما لهيامك من نهاية ؟

عمر — النهاية ؟ ! أجل .. ستحل النهاية .. عندما يغرق كل شبر من الأرض هناك . . لن يعود هناك أثر لأى شىء .. حتى هذه البقايا والأطلال .. التى أشم منها عبيرها .. وأسمع من أحجارها صدى صوتها .

مصطفى — كف عن هذا يا عمر . . لا تدع الناس يتهمونك بالجنون . . انس كل شىء .

عمر — أنسى ؟ . كيف أنسى !

مصطفى — كما نسيت أنا .

عمر — لقد نسيت أنت . . لأن قلبك لم يخفق بحب . . ولكن . أنا ؟ . مع كل هذه المشاعر التى تضطرم فى صدرى أيمكن أن أعتبره وهماً كما اعتبرته أنت ؟

مصطفى — أو يمكن أن يكون غير ذلك ؟

عمر — الإحساس العجيب الذى أحس به لهـــذه المخلوقة . . مصر على أن يجعله غير ذلك . . مصر على أن يتشبث به كحقيقة .

مصطفى — وما الحل . . ؟ أتنوى أن تقضى عمرك . . هائماً منقباً .. بين الرمال والأطلال .. على الشاطىء الغربى.

عمر — ليتنى أستطيع . . مادام هنـاك أمل . . فالحياة محتملة . . فى ذات يوم .. سأجد الحقول الخضراء والبحيرة حيث الزهور والطيور . . وأجدها هى . . .

مصطفى — عبث .. عبث .. إننا لانستطيع أن نغمض عيوننا لنستعيد أحلامنا الجميلة .

عمر — ليتنى بقيت هناك . . عنـدما أعود إلى الضفة الغربيـة فلا أجد سوى المرسى حيث رسا القارب الذى حملنا من السجن فى تلك الليلة . . أتمنى لو عدت إلى السجن مرة أخرى .

مصطفى — لـكى تلقى حتفك هناك ؟

عمر — كان يمكن أن نهرب سوياً .

مصطفى — وتعيش بين الحقول .. لتأكل الخبز والبصل والسمك المقدد .

عمر — كنت أستطيع أن أحتمل أى شىء إلا ضياعها كل شىء ممكن قبوله .. إلا أن تتبدد هكذا كالدخان .. هى وكل ما حولها .. حتى المعبد .. حتى أطلال المعبد ، وجدته بين عشية وضحاها أكواماً من الحجارة .. يفكه العمال .. كأنه بيت من بيوت الأطفال ، وتحمله روافع الشركة الألمانية .. لتنقله إلى أعلى الجبل ، وأحسست كأنهم يحطمون آخر أمل للقاء .. ويمحون ما تبقى من أثر ملموس لكل ما عشناه فى حلمنا الرائع .

مصطفى — أكنت تتوقع أن تراها هناك مرة أخرى؟

عمر — ولِمَ لا .. ألم نرها من قبل ؟

مصطفى — وترى الحقول والقصر الفرعونى .. وكل ما رأيت من أعاجيب ؟

عمر — لا يهمنى كل هذا .. المهم أن أراها هى .

مصطفى — وتبقى معها ؟

عمر — أو آتى بها معى .. إننى لم أشعر قط أن الزمن كان مشكلة .. إن ما بيننا كان دائماً أقوى من الزمن .

مصطفى — لم يكن مشكلة لأنها انتزعتك من واقعك . لقد سيطرت على كل جوارحك . . يجب عليك أن تخلص من سيطرتها . . يجب عليك أن تنساها . . أن تنسى كل ما حدث .

عمر — مستحيل . . إنى أذكرها فى كل شىء . . هنا وهناك . . فى زمنى وفى زمنها . . أذكرها كلما وقفت لأرى حائط السد يعلو . . أو رأيت القناة تغمرها المياه . . أذكر وقفتها ترقب العربات تقذف بالصخور إلى الصنادل ، وقفتها فى قاع النهر .. تقول إن كل هذا حدث بقدرة قادر ، والقادر هو الشعب .

مصطفى — أجل . . أجل . . أذكر حديثها العجيب فى الميكرفون على لسان فرعون .

عمر — وأذكرها فى مغرب الشمس وقد سرى النسيم بين النخيل .. أذكرها فى غابرها ، وأذكرها فى حاضرها ، بين أطلالها الصامتة ، وآلاتنا الصارخة الصاخبة .

مصطفى — اترك كل هذا . . اترك المكان برمته . انزل إلى القاهرة ، واشغل نفسك بأشياء أخرى . . غير هذه الأشياء التى تشدك إليها وتربطك بذكرياتها .

(تقبل صفية وهى تضع الميكرفون فى الحقيبة) .

صفية — (لعمر) .. عمر .. لقد سجلت صورة رائعة للاحتفال بتحويل مجرى النيل . لقد عشنا لحظات تاريخية . هذا التسجيل سأحتفظ بنسخة منه لأهديها إلى أبنائى .

مصطفى — سيكون أبناؤك فخورين بأمهم .

صفية — لماذا ؟! أنا لم أفعل سوى أن سجلت صورة لما حدث .. كم تمنيت لو شاركت فى رفع الحجارة ، وحفر القناة .. أنتم الذين سيفاخر بكم أبناؤكم .

مصطفى — (ضاحكا) إذا كنت مؤمنة بهذا .. فأنا على استعداد لأن أمنح أبناءك هذا الفخر .

صفية — (ضاحكة) لطيفة .

مصطفى — العرض.

صفية — لا .. النكتة .

مصطفى — ليست نكتة .. إنه عرض جاد .. ويمكن أن أحوّله إلى عمر .. باعتباره ولى أمرك .. فوراً .

صفية — هكذا ؟

مصطفى — ولِمَ لا .

صفية — وهنا .. فوق الصخر .. على ضفة القناة ؟

مصطفى — لكى تزيديهم فخراً .

صفية — (تبتسم) يبدو أنك مهتم . . بتفاخرهم .
مصطفى — وتفاخرى أنا أيضاً .
صفية — بمن ؟
مصطفى — بك .
صفية — أخجلتم تواضعى .
مصطفى — ما رأيك ؟
صفية — (باسمة) لست أمانع فى أن أمنح أولادى هذا الفخر . . أقبل فقط من أجلهم .
مصطفى — (فى فرحة) إنى أتحدث جاداً .
صفية — وأنا أتحدث جادة .
مصطفى — (لعمر) ما رأيك يا عمر ؟
عمر — (شارد الذهن فى الأفق الغربى) فى ماذا ؟
مصطفى — فيما اتفقنا عليه .
عمر — اتفقتم على ماذا ؟ .
مصطفى — أمنح أولادها شرف أبوتهم .
عمر — (ضاحكا) هكذا . . مرة واحدة . . وبدون سابق إنذار !
مصطفى — من ناحية الإنذار ... فأعتقد أنى أحسست

بعدة إنذارات فى باطنى .

عمر — وما رأيها هى ؟ .

مصطفى — سلها .

عمر — ما رأيك يا صفية ؟ .

صفية — (تهز رأسها وتقول فى استحياء) لا أظن أن هنـاك ما يمنع . . فى وقت ما . . لابد أن تتزوج الفتاة . . شخصاً ما .

عمر — أو قد حل « وقت ما » هذا ؟

صفية — لقد جاوزت الثالثة والعشرين . . أخشى أن أعنس .

عمر — وهـذا الشخص . . أيصح أن يـكون « شخصاً ما » ؟

صفية — ممـكن احتماله .

مصطفى — حتى آخر العمر ؟

صفية — إذا استطاع أن يحتملنى حتى آخر العمر . . فلا جدال أنى سأحتمله .

عمر — (يهز رأسه) مبروك ... هذه فيما أعتقد أول خطبة تتم فوق المجرى الجديد للنيل .

مصطفى — إن لدينا إجازة نستطيـع أن ننزل فيهـا إلى

القاهرة . . لإتمام كل الإجراءات .

صفية ــ إنى سأنزل إلى القاهرة غــداً . . (لعمر) أظنك ستنزل معى ؟

عمر ــ (مأخوذاً) أنا . . أنزل إلى القاهرة ؟

مصطفى ــ أجل .. إن لدينا إجازة .

عمر ــ سأقضيها هنا .

مصطفى ــ هذا غير معقول .

عمر ــ غير معقول . . لمـه ؟

مصطفى ــ لأنه يلزم لك أن تستريح . . إنك فى أشد الحاجة إلى الراحة .

عمر ــ أنت تعرف أنى لن أستريح . . سأبقى هنا .

صفية ــ إن والدتك فى انتظارك . . وليلى بنت خالتى قد وصلت إلى القاهرة عائدة مع أبيها من لندن .. والمفروض أن تلقاها .

عمر ــ مفروض . . لماذا ؟ .

صفية ــ أنت نفسك كنت فى شوق لرؤيتها .. أنسيت أنك كنت تود خطبتها ؟

عمر ــ لا أريد أن أرى أحداً . . ولا أن أخطب . . سأقضى إجازتى هنا .

صفية — (لمصطفى) لماذا لا تحاول أن تقنعه ؟

مصطفى — حاولت من قبلك .

صفية — أمعقول أن يقضى إجازته هنا بعد كل هذا التعب؟

مصطفى — (يهز رأسه) لا فائدة من محاولة إقناعه .

(يقبل صبحى ، وهو يلهث) .

صبحى — (لعمر) العربة جاهزة يا باشمهندس .

(عمر يقفز من مكانه) .

مصطفى — إلى أين . . ؟

صبحى — سنذهب لزيارة المعبد فى موقعه الجديد فوق الجبل .

مصطفى — (يهز رأسه فى يأس) غير معقول . . يجب أن يكف عن كل هذا .

صبحى — أتأتى معنا يا باشمهندس ؟

مصطفى — (ينظر إلى صفية متردداً) إذا كان سير المروحة متيناً ، ولن نحتاج إلى مياه للعربة . . . .

صبحى — (ضاحكا) لا تخش شيئاً .

مصطفى — أتأتين يا صفية ؟

صفية — لِمَ لا . . هيا بنا

(يتجه الأربعة إلى العربة ذاهبين إلى المعبد) .

المنظر الثانى

(المعبد من الداخل بعد أن نقل إلى أعلى الجبل ، الزوار والسياح يملئون ردهاته . . بعض مهندسى الآثار والمهندسين الألمان الذين أشرفوا على عملية النقل .. يصاحبون الزوار ويشرحون لهم.

(عمر يدخل ومعه مصطفى ، وصفية تتركهما وتتجول فى المعبد بين الزوار .

(عمر يقف ممسكا بذراع مصطفى ، وقد بدا عليه الشرود .

(حربش (حارس المعبد) يبدو من ظهره مرافقاً لبعض الزوار ، وهو يشرح لوحة مكتوبة باللغة المصرية القديمة ومنقوشة على الحجر .)

حربش — هذا هو بهو الأعمدة لقد ظل كل شيء فيه كما هو .. على اليسار المعبد ، وفى المواجهة المرساة التى كانت تفضى إلى شاطىء النيل عندما كان المعبد على مكانه الأول .. ومن هذه الفتحة كان يبدو منظر القصر الفرعونى تحيط به البحيرة .

عمر — (ينصت مأخوذاً إلى صوت الحارس ويقول لمصطفى) أجل . . أجل . . كان يبدو رائعاً . . لقد رأيته بعينى .

حربش — وهذا الدرج الذى على اليمين . . يفضى إلى قدس الأقداس .

عمر — (لمصطفى) لقد بدت منه أول مرة .. أتذكر.. كانت رائعة .

مصطفى — أجل . . أجل ، وكانت تريد أن تسلمنا للحراس .

عمر — لم تكن تعرفنا .

مصطفى — على أية حالة لقد سجننا أهلها . . بعد أن عرفونا .

حربش — (مستمراً فى الشرح وظهره لعمر) ، وفى أقصى البهو وراء هذا الباب ، وعلى اليمين توجد الحجرة التى وضعت بها التوابيت الأربعة التى استقرت فيها أسرة رع .

إحدى الزائرات — أما زالت موجودة؟

حربش — أجل .. رع وزوجته نفرو وابنه حور .. وابنته مريت .

عمر — أتسمع .. إنها موجودة .

مصطفى — جثة فى تابوت .

حربش — (مستمراً فى حديثه) إنهـــا تبدو آية فى الجمال .. وعلى وجهها ابتسامة ساحرة .. وكأنها لم تمت .

عمر — كأنها .. لم تمت !!

مصطفى — كأنها .. لم تمت ، وماذا يفيدك ذلك .. على العكس .. إنه يؤكد أنها ماتت .. كونها تبدو بابتســـامة ساحرة كأنها لم تمت .. لن يعنى سوى أنها مومياء محنطة بمهارة ملفوفة جيداً بالشاش .. أتذكر .

عمر — أذكر ماذا ؟

مصطفى — كنت .. نفسك تخشى هذا المصير .. قلت لى عند ما أوشكت أن أعود إلى الموقع .. وخشيت أن أتركك وحيداً .. إن الأرض ستغرق والمعبد سيرفع .. وإنك ستكون فيه مومياء ملفوفة بالشاش .

عمر — ليتنى بقيت .

مصطفى — لترقد فى التابوت ؟

عمر — بجوارها .

مصطفى — وتصبح فرجة للناس .. يشير إليك هذا الرجل حربش قائلا : وهذا جسد .. عشيقها ؟

عمر ــ زوجها .. لقد كتب الكاهن العقد .

مصطفى ــ لتكن من تكون . . المهم أنك ستكون فرجة لكل من هب ودب ، حتى راحة الموت وحرمته لن تنعم بها .

(صفية تقبل لتسمع إلى الشرح مع الزوار)

حربش ــ (مستمراً فى الشرح وهو يشير إلى اللوحة الحجرية) وفوق هذه اللوحة نقشت أسطورة تروى محاولة غزو الشمال لأرض فرعون . . كيف تقدموا بجحافلهم على الضفة الشرقية ، ولكن ابنة فرعون أحبت أميرهم .

صفية ــ وهل أحبها ؟

عمر ــ (مؤكداً وبلا وعى) جداً .

صفية ــ (تلتفت إليه فى دهشة) .

مصطفى ــ (يزغد عمر بمرفقه) اثبت . . لا داعى للفضائح .

حربش ــ يقال إن أمير الشمال حاول أن يستغل حبها . . للاستيلاء على ملك فرعون ، ولكن أخاها حوراً اكتشف الخديعة فى اللحظة الأخيرة .. حين علم أن الأمير وأعوانه يدبرون مؤامرة لإغراق الأرض .

عمر ــ (فى غيظ) حور الكلب . . لا شك أنه

هو الذى نقش هذه اللوحة .

حربش ــ وقد قبض ابن فرعون على المتـــآمرين وأودعهم السجن ، وحكم على أمير الشمال بالإعدام .

صفية ــ (فى أسف) وأعدم ؟

مصطفى ــ فال الله ولا فالك .

حربش ــ يقال إن الأميرة .. قد أنقذتهم من السجن فى اللحظة الأخيرة ، وإنها أطلقت سراحهم فى جنح الليل .

صفية ــ وهربوا ؟

حربش ــ أجل .. عبروا النيل على مركب .

صفية ــ وهى .. الأميرة .. ماذا فعلت ؟

حربش ــ تركت ملكها ، وقصرها .. تركت كل شىء، ولحقت به .

عمر ــ (متنهداً) ياليت .. ربنا يسمع منك .. وتلحق بى .. أو ألحق بها .

مصطفى ــ (يجذبه من ذراعه) .. هيا بنا .. هيا .

عمر ــ (شارداً) أسمعت .. إنها لحقت بى .

مصطفى ــ هذه أسطورة .. منقوشة على الحجر.. لقد سمعناها من قبل عند ما زرنا المعبد أول مرة وهو على الشاطىء . . أتتذكر ؟

عمر — ولكنها لم تعد أسطورة .. لقد وقعت فعلا .. أنت نفسك كنت أحد أطرافها . . أتنكر ؟

مصطفى — أنكر . . أو لا أنكر . . ما جدوى كل هذا ؟

عمر — إنها موجودة هنا .. موجودة .

مصطفى — جثة فى تابوت يا أخى ، كل ما نملكه لها . . هو الفاتحة . . إذا قبلتها آلهتها ، وقربان من تين ونبيذ وعطر .. حسب تقاليدهم ، أو فطير وبلح حسب تقاليدك .

عمر — (مسمراً فى مكانه) .

مصطفى — هيا بنا . . هيا (منادياً) صفية . . هيا بنا .

(تلتفت صفية وتقترب منهم ويلتفت حربش لأول مرة منذ بدأ الشرح ليواجه عمر ومصطفى)

(عمر يجد فيه صورة طبق الأصل من حربو حارس السجن فيصيح مشدوهاً)

عمر — حربو . . أجل . . هو بعينه . . (يقترب من حربش ويهتف به) اسمع ياحربو .

(مصطفى يلحق به ويجره من ساعده)

مصطفى — عمر . . اسمع .

عمر — (لحربش) أنت تعرف الأميرة بالطبع .

حربش — طبعاً يا أفندم . . رأيتها كثيراً . . . .

عمر — (لمصطفى) أسمعت .

حربش — (مستطرداً) وهى راقدة فى التابوت .

عمر — (لحربش) اسمع يا حربو .

حربش — محسوبك حربش .

عمر — حربو . . حربش . . المهم . . أنك تعرف الأميرة .

حربش — طبعاً يا أفندم .

عمر — إذن لا بد أنك تذكرنى .

حربش — (يهرش فى رأسه محاولا التـذكر) والله ذكرنى سيادتـكم .. أين ؟

عمر — فى السجن .

حربش — السجن !؟ مرة واحدة ، لا ياسعادة البيه .. حد الله بينى وبينك .. ربنا لا يحكم علينا .. أنا رجل . . فى حالى .. ولست رد سجون .

عمر — أنا الذى كنت مسجوناً .

حربش — سيادتك رد سجون .. أنت حر .. ولـكن أنا لا . . لم أتشرف بزمالة سيادتك .

عمر — يا أخى .. لم نكن زملاء .. كنت سجانى .

(صفية مذهولة وهى تنظر إلى عمر كأنه جن وتهتف به)

صفية — عمر .. ما هذا ؟

عمر — اسكتى أنتِ . . هذه أشياء بيننا .

صفية — (لمصطفى) مصطفى .. ما هذا الذى يقوله ؟

مصطفى — (يجذبها نحوه) .. لا تفزعى هكذا .. أنت تعرفين عمر يحب المزاح .

صفية — مزاح . . أهذا مزاح ؟

حربش — (يسير مع الزوار وهو يهز رأسه) إذا كان هو رد سجون . . مالى أنا . سجان ! ! أنا سجان ؟

عمر — (صائحاً) ولا أحد جدودك .. يا أخ حربو .

حربش — حربش يا أخى حربش .

عمر — (مؤكداً) كنت حربو.. والله .. وكنت رجلا طيبـاً .

صفية — أى مزاح هذا .. عيب .. عيب جداً .

مصطفى — (يجذب عمر محاولا إخراجه) هيا بنـــا يا عمر .. هيا .. أرجوك .

(يدخل صبحى ومعه صفيحة ماء)

صبحى — عن إذنكم .. نملأ الصفيحة من البئر .

مصطفى — يا أخى . . أى بئر هذه التى ستملأ منها الصفيحة ؟

صبحى — (مشيراً إلى البئر) هنا .

مصطفى — ياأخى . . هذه بئر جافة .

صبحى —(ضاحكا) أنا أعرفها خير أمنك ياباشمهندس، لقد ملأت الصفيحة بنفسى فى المرة السابقة ألا تذكر .

مصطفى — (محاولا إخراجهم) تعال يا أخى تعال .. لا ندرى من أين نلاقيها.. منك أم من الباشمهندس . هيا بنا .

(صبحى ينظر نحو الدرج ويرى مريم
عز الدين موظفة الآثار التى تعمل فى نقل المعبد
صورة طبق الأصل من مريت وهى تهبط الدرج
فيصرخ مشدوهاً) .

صبحى — الله .. ست مريت .

عمر — (يلتفت نحو الدرج فيبصر مريم ويصيح مندفعاً نحوها) مريت .. مريت .. غير معقول .

(مصطفى وصفية ينظران إليه فى ذهول)

(مريم تبدو عليها الدهشة وهى ترى عمر
يندفع إليها)

عمر — كنت واثقاً أنك ستأتين .. أجل .. كنت واثقاً من هذا يا مريت .

مريم — (فى هدوء) اسمى مريم يا سيدى . . لست مريت .. وأنا خريجة قسم الآثار . . وأعمل ضمن بعثة معهد تسجيل الآثار التى تعمل فى نقل المعبد .

صفية — (فى دهشة) ما هذا الذى يفعله عمر . . لماذا يسميها مريت ويندفع إليها هكذا كالمخابيل . . أليست هى مريم التى سجلنا لها الحديث فى القناة ؟

مصطفى — (لنفسه فى ذهول) غير معقول !! مريم التى سجلنا لها الحديث لابد وأن تكون راقدة فى التابوت . . مستريحة أربعة وعشرين قيراطاً .

عمر — (مؤكد لمريم) خريجة الآثار . . أعرف . . أعرف . . لقد اتفقنا على هذا .

مريم — على ماذا يا سيدى ؟

عمر — على أن تكونى مريم . . خريجة قسم الآثار .

مريم — ولكنى أنا فعلا كذلك .

عمر — أيا كنت . . مريم أو مريت . . يكفى أنك عدت . . يكفى جداً . . لست أريد شرحاً . . سأقبل أى تفسير . . يكفينى أنك موجودة . . ستذهبين معى يا مريم .

مريم ــ إلى أين ؟ .

عمر ــ لنتزوج . .

مريم ــ (ضاحكة) هكذا مرة واحدة ؟

عمر ــ أجل .

مريم ــ ولكنك لم تعرف عنى شيئاً .

عمر ــ بل أعرف كل شىء .

مريم ــ وأنا لا أعرف عنك شيئاً .

صفية ــ (هاتفة لمصطفى) أتسمع ؟ إنه يريد أن يتزوجها . . وهى تتجاهله تماماً . . كأنها لم تره من قبل . . هذا غير معقول . . برج من عقلى يكاد يطير .

مصطفى ــ (هامساً) لقد طار كل عقلى .

عمر ــ أنا مهندس فى السد . . ويكفى أن تعرفى أنى أريدك . . شريكة عمرى . . وأن حياتى وكل ما أملك فى حياتى لك وحدك .

مريم ــ هذه أعجب طريقة للزواج .

عمر ــ ألا تثقين بى ؟

مريم ــ أحس أنى أثق . . لست أدرى لمه .

عمر ــ وتقبلين ؟

مريم ــ أحس أنى أريد أن أقبل ، لست أدرى كيف ؟

عمر — (يجرها من ذراعها) هذا يكفى .. يكفى جداً.. لا داعى أبداً لأن تعرفى لمه . . ولا كيف . . هيا بنـا .

صفية — (مذهولة) . . لا . . لا . . لا بد أن أردعه عن كل هذا . . إنى لا أكاد أفهم أبداً . . لا أفهم شيئاً ! !

مصطفى — لا داعى لأن تفهمى .

صفية — هذا جنون .

مصطفى — وكل الناس مجنون ولـكن على قدر الهوى اختلف الجنون .

صفية — ولـكن . . .

مصطفى — ولـكن ماذا ! ؟ ألا تعجبك . . كزوجة لأخيك ؟

صفية — إنه حر . . مادامت تعجبه .

مصطفى — تعجبه جداً .

صفية — فليشبع بهـا . . ولـكن . . هذه الطريقة المذهلة .

مصطفى — ماذا تهم الطريقة . . ما دامت النتيجة طيبة . . هيا بنا . . هيا .

(يهم الجميع بالخروج من المعبد عندما يبدو حربش عند الدرج من الباب الذى خرجت منه مريم) .

حربش — (صائحاً) يا بوليس . . يا بوليس .

صبحى — ما لك . . جرى إيه ؟ .

حربش — اللصوص . . يا بوليس .

صبحى — يا أخى . . لصوص إيه ! ؟ ماذا يأخذ منكم اللصوص ! ؟ ماذا تأخذ الريح من البلاطة .

حربش — (مستمراً فى الصياح) مومياء .. ضاعت .. مومياء سرقت . . يا بوليس .

صبحى — مومياء . . سرقت ؟

حربش — أجل . . بنت فرعون . . ضاعت . . فقدت من التابوت .

صبحى — (لنفسه) يا نهار أسود .

(مريم تلتفت خلفها فى فزع) .

مريم — ابنة فرعون ضاعت .

صبحى — (لنفسه) طبعاً ضاعت . . كيف يمكن أن تبقى فى التابوت . . وأنت معنا هنا (صائحاً) هيا بنا . . هيا يا جماعة .

مريم — لا . . لا بد أن أرى ما حدث .

صبحى — (هامساً) هيا يا ست . . قبل أن يعيدوك إلى التابوت . . هيا بنا يا جماعة .

عمر — (يجذب مريم من ذراعها) أجل .. هيا يامريم هيا بسرعة .

حربش — يا بوليس . .

صبحى — (وهم يهرولون إلى الخارج) طول عمرك حارس خائب . . يهرب منك الأحيـــاء . . والموتى . . هيا بنا . . هيا . .

﴿ ستار الختـــام ﴾

فهرس

مؤسسة فن الطباعة

القاهرة ـ شبرا ١ شارع الأزهار

تليفون ـ ٥٨١٤٩

الناشر مكتبة الخانجي

الثمن ٢٥